الموسوعة الصغيرة

٩١

الأمراض النسوية في التأريخ القديم وأخبارها في العراق الحديث

تأليف د. كمال السامرائي

الموسوعة الصغيرة

(٩١)

الامراض النسوية في التاريخ القديم
واخبارها في العراق الحديث

تأليف
د. كمال السامرائي

منشورات دار الجاحظ للنشر

نيسان ١٩٨١ الجمهورية العراقية

يعتبر الاهتمام بالصحة العامة ، ومعرفة طرق الوقاية من الامراض من سمات الحضارة . وابرز ما في هذه السمات هي العناية بصحة الأم وما له علاقة بحملها وطفلها . كما يجوز اعتبار الامراض النسائية والولادة من أوائل ما قاسى الانسان من صنوف الامراض . فقد مارست المرأة تجربة الولادة ومرت بمخاطرها منذ وقع الاتصال بينها وبين الرجل قبل ملايين السنين . ولابد وانها قد أصيبت بالالتهابات الحوضية وتمزقات العجان ، والنواسير المهبلية منذ ذلك التاريخ مثلما تصاب بها نساء هذا اليوم . وقصة الراقصة الفرعونية الملكية (هنهنيت) لا تبتعد عن الذاكرة في هذه المناسبة(١) . فقد توفيت تلك الفتاة التعيسة اثر ولادة عسرة سببت لها تمزقات واسعة في انسجة الحوض فعانت الكثير في أيام نفاسها قبل ان تلفظ انفاسها الاخيرة . والقصة التي نتكلم عنها حديثة العهد بالنسبة لحساب التاريخ ، وان هنهنيت قد عاشت في عهد كان الانسان فيه يتمتع بشيء من الطب والتداوى . اما الامهات اللاتي عشن

قرونا قبل الحادث المذكور ، حيث ليس فيه ما يعرف عن وسائل العلاج والشفاء ، فلابد وان يكن قد قاسين انواع الامراض النسوية واشدها ايلاما وفتكا بالجسم ، فتنفق المرأة بسببها كما تنتهى حياة الحيوانات البهيمة .

ولابد وان المرأة عرفت منذ أقدم عهودها التأريخية ، طبائع الانوثة ومميزاتها الجنسية. ولابد ايضا ، ان انحدار دم (الحيض) لاول مرة ، كان مفاجأة مرعبة للصبية ابان بلوغها سن الرشد . الا انها ما لبثت طويلا حتى الفت دورته الشهرية وسلامته . ثم اعتبر الناس الحيض علامة من علامات النضوج . وظهوره دليل على تخلص الجسم من اوساخه الداخلية . واعتقدوا ان الفتاة لا تطهر الا بالبلوغ ، فمنعوها من دخول بيوت العبادة قبل ذلك باعتبارها ما زالت غير طاهرة البدن ولم تتخلص بعد من اقذارها .

وكان الانسان القديم يجهل سر تكوين الجنين في بطون الامهات ، كما كان يعتقد ان الارحام ما هي الا اجواف يسكنها الجن وتحوم في داخلها الارواح الشريرة ، واعتبر الحبل لهذا السبب سفاحا من عمل الشيطان ، وان الحامل آثمة ووقحة ، وان المخاض بما فيه من اوجاع واخطار ما هو الا كشف

عن خطيئتها واسلوب لاعلان التوبة والتكفير عن ذنبها . وعلى هذا الاساس كانوا يودعون الماخض في مغارة أو كهف ويسدون مدخله عليها باغصان الشجر أو الحجارة ، ويتركونها وحيدة فتموت او تحيا تبعا لرضى الالهة عليها .

ومر الزمن واكتشف الانسان ان الحبل ليس من صنع الارواح الشريرة بل حصيلة امتزاج دم الحيض بالمادة الذكرية من الرجل ، مستدلا على ذلك من ان المرأة التي لا تحيض لا تملك القدرة على الانجاب . وهكذا صار الحيض موضوع بحث في صفات المرأة المخصبة ، واختلقوا قصة لتفسير دورته الشهرية ، فيها مدلول اخلاقي واشارة الى علاقة الحيض عند المرأة بدورة القمر في السماء ، فقالوا :

كان في ذات يوم من الايام تاجر له زوجة جميلة لعوب . وكان يجاورهما شاب جميل أعزب. وكان الزوج يكثر من الاسفار . فصارت زوجته تراود جارها الشاب . واستطاعت ان تسلب ارادته وقادته في ليلة الى حجرتها حين كان الزوج في سفره . وحدث ان رجع الزوج الى بيته في منتصف تلك الليلة ورأى ما يحدث في مخدع الزوجية ، فثار لشرفه واستل سكينا وطعن بها الشاب . ولان هذا

الشاب كان بريئا ومخدوعا ، فقد ارتفع دمه الى السماء مكونا بحيرة من الدم المراق ، هو القمر في تمامه . فنزلت مقابل ذلك لعنة السماء على المراة التي خانت زوجها ، وعلى كل بنات جنسها ان ينزفن دما في كل مرة يطل فيه القمر كاملا من قبة السماء(٢) . ونعرف اليوم ان هناك ثمة علاقة زمنية بين القمر في دور (المحاق) ووقت انحدار دم الحيض عند النساء .

ولا تزال بعض القبائل المتوحشة المنقطعة عن العالم،في الجزائر النائية بأبعاد البحار ، او المكانات المنسية في اعماق الغابات تؤمن بكثير من المعتقدات الطبية التي لا يقبلها العقل ، وتمارس القبالة بطرق غريبة لا تخلو من غريزة الفهم والتماس افضل الطرق الممكنة في التوليد . ولا غرابة ان كانت تلك الطرق قد انحدرت اليهم من اسلافهم الذين عاشوا في عهود غاية في القدم . واساليبهم في التوليد باي حال ليست خالية كليا من معرفة موقع الجنين في الرحم وكيفية انزلاقه في المسلك الولادي فيضجعون الماخض على سطح طاولة ويربطونها عليها . ثم

يقيمون الطاولة على جانبها الضيق لتتدلى الماخض منها . بعد ذلك يهزون الطاولة من جانب الى جانب ومن اعلى الى أسفل ، لتعمل هذه الحركات في انحدار الجنين واندفاعه من داخل الرحم الى الخارج . فاذا فشلت هذه الطريقة في توليد الماخض ، اثاروا الفزع في الماخض ليزيدوا من شدة طلقها ، وذلك بافتعال حريق في حجرتها فتنهض هذه فزعة وتركض هاربة من السنة النيران . او ان أحدا من الفرسان يخب جواده باتجاهها ،فتهب طالبة النجدة من حوافر الجواد القتالة(٣) .

الطب النسوي في الحضارتين البابلية والمصرية

وتقدم الانسان في مسيرة التأريخ ، وتفتحت افكاره على المعرفة ، ودخل الطور الحضاري . وتعتبر حضارتا وادي النيل ووادي الرافدين اقدم الحضارات الموثقة آثاريا . وهما تتنافسان في القدم وتشتركان في كثير من سمات المدنية والحضارية . وكان للامراض النسائية والتوليد نصيب وافر في تأريخ البابليين والاشوريين فيما بين الالاف الثلاثين والمئات الستة قبل الميلاد . وكذلك كان الامر في تأريخ المصريين بنفس الحقبة . وقد مارس المصريون الختان(٤) على الشباب من الذكور والاناث . وانحدرت عادة ختن الصبية عبر عشرات القرون الى نساء هذا القرن . ولا تزال مألوفة في مصر والسودان حتى هذا اليوم . ويسمونها هناك ، (الطهارة الفرعونية) .

ولم اعثر فيما لدى من مراجع ما يفيد ان البابليين قد مارسوا الختان على الاناث أو الذكور(٥) ويبدو ذلك غريبا جدا . اذ ان البابليين قد

استضافوا اليهود السبايا الذين جلبهم نبوخذنصر الى بابل ، وتخالطوا معهم في عهد قورش الاخميني (القرن الرابع قبل الميلاد) ، وأخذوا عنهم كثيرا من المعارف والحرف ، ومنها شيئا من تعليمات موسى الصحية . فكيف اهملوا تبنى عادة الختان التي كان اليهود يمارسونها فرضا ؟

ومارس المصريون (اسقاط) الحمل ، كما مارس البابليون هذه العملية بكثرة . فلما تجاوز الاطباء حد الاعتدال في ممارستها ، أصدر حكام بابل أمرهم بمنع اجراء هذه العملية وفرضوا عقوبات صارمة على فاعلها(٦) . اما اذا كان فاعل الاسقاط هي المرأة الحامل نفسها فتقتل بخازوق ينفذ في طول بدنها ويرمى جسمها في الفلاة لتنهشه الطيور والهوام(٧) .

واذا كان في احد مراتب المرأة الكهنوتية في المعابد ما يبيح لها ممارسة البغاء كخدمة لآلهة المعبد . فلا يستبعد ان كانت هذه السادقة البغي تمارس طريقة لمنع الحبل ، بالعزل او بغيره . او انها كانت تخضع لعملية اعقام أو اخصاء حتى لا تتعرض للحبل فيعيقها عن اداء الخدمة المقدسة .

وحاول البابليون تشخيص جنس الجنين قبل ولادته من العلامات التي تظهر على جبهة الحامل ،

او انفها او حلمة نهديها . وتوســـعوا في هــذه الاتجاهات وتنبأوا عن سلامة الولادة وخطورتهـا وحظ الوليد من الحياة فيها ، وعيشه الرغيد في مستقبل الايام . قالوا اذا كان جبين الحامل أصفر اللون وانفها متورما وعلى نهديها خطوط عريضـة حمراء افقية ، وحلمتيهما سوداوان فانها ستلد ذكرا واذا كانت على جبينها بقعة بيضاء لامعـــة ووجهها احمر اللون ، وعلى نهديها خطوط حمراء عريضة وعمودية ، وكانت حلمة النهدين حمــراء فانها ستلد بنتا(٨) . وقالوا ايضا اذا كانت الحامل كثيرة التقيؤ فانها لا تتم حملها ويسقط جنينها(٩) وقالوا غير ذلك كثيرا حتى اختلط المعقول منه بغير المعقول . على ان أي من ذلك لا ينتقــد ولا يــرد فالمعتقدات يومئذ اصـــدق من الوقائع ، والاوهام ليست اقل مرتبة من الحقائق .

ولا حاجة ان نؤكد ان القبالة كانت من المهن الشائعة والضرورية في كل من الديار المصرية وما بين النهرين . وسواء كان التوليد تمارسه الماخض نفسها أوله من يختص به من النساء ، فلابد وان كان في القبالة طرائق في التوليد يمكن ان نقــول انها كانت لا تخلو من لمسات فنية تعتمد على قواعد علمية . ومما يذكر في هذا الصدد ان القابلة في بابل

كانت تطلب من الماخض ان تمسك بحبل يتدلى من سقف الحجرة وتسحب عليه بثقل جسمها بينما تقعد هي أي القابلة من خلفها أو من أمامها وتضغط براحتي يديها على قمة الرحم المنتفخ في بطنها . وبعد ما يزيد على الاربعين قرنا من ذلك التأريخ ، اي في هذا اليوم ، تستعمل القوابل نفس الطريقة المذكورة سوى أن الحبل الذي تمسك به الماخض يربط بمؤخرة سريرها لا بسقف حجرتها .

وورد في شواهد التأريخ البابلي ما يحمل الظن على ان تلك الشعوب قد مارست العملية القيصرية(١٠) كما يذكر ان الهنود القدماء قد مارسوها ايضا(١١) وورد في الشاهنامة التي وضعها الفردوسي قصصا لهذه العملية عن بعض القادة اجراها الجراحون(١٢) اكثر الاحتمال فيها انها مختلفة او اسطورية على انه من المحتمل ان تكون العملية المذكورة قد الفتها الاقوام المذكورة ومارستها على الحوامل الاموات لا على الامهات الاحياء . حينذاك نعتبر فكرة استخلاص الجنين عن طريق

البطن خطوة تشريحية جراحية لها دلائلها المهمة في تقدم علم امراض النساء والولادة . أما الاختصاص بهذين العلمين فلم يعرف في ما بين النهرين في تلك العهود القديمة ، بل عرف عنهما كجزء من كل الطب . على ان بردية (كون) المصرية التي كتبت عام ١٩٥٠ ق . م قد اختصت بموضع الامراض النسائية[١٣] . كما اختص بمصر الفرعونية اطباء بهذا الموضوع دون مواضيع الطب الاخرى . واختفت فكرة الاختصاص من التطبيق طيلة القرون الاربعين التالية حتى ظهرت بوادرها في العصور العباسية المتأخرة . كما لم تعرف أمرأة طبيبة تعمل في هذا الاختصاص في ما بين النهرين او مصر . أما في الهند فقد عرفت في اواخر حضارة وادي السند (الالف سنة ق . م) طبيبة باسم (روسي) كانت تعمل في الامراض النسائية والولادة كما كانت تعمل في طب التجميل ايضا[١٤] .

الطب النسوي في الحضارة اليونانية

اثناء حكم السلالة الكلدانية ببابل ، في ما بين القرن السادس والثالث قبل الميلاد ، ظهرت بوادر الحضارة اليونانية . وحصلت بين الشعبين العربي واليوناني المتجاورين على حدود اسيا الصغرى اتصالات من نوع خاص . ودخل فيثاغورس[١٥] بابل وتعلم فيها الرياضيات والموسيقى . ورجع الى (كروتون) بايطاليا حيث اسس فيها مدرسته الشهيرة ، وصار يحاضر فيها عن حضارة بابل ، وافكار علمائها . واشتهرت هذه المدرسة بنظرتها الى الارقام العددية ، وغرائب معادلاتها ، ومكنتها في تقدير الامور وتوقعات الاحداث الكونية . فنظروا الى الرقم (اربعة) بدهشة . اذ رأوه يتكرر في عدد الاتجاهات الاربعة (الشمال والجنوب والشرق والغرب) وعدد الرياح الاربعة (الرياح الشمالية ، والجنوبية ، والشرقية والغربية) . وعدد العناصر الاولى الاربعة (الهواء والنار والتراب والماء) وعدد الاخلاط الاربعة (خلط الدم ، والبلغم

والمرة السوداء والمرة الصفراء) وعدد الامزجة الاربعة (المزاج الدموي ، والبلغمي والسوداوي ، والصفراوي) كما كانت نظرتهم الى رقم (٧) مزيجا من التقدير والاستغراب ، اذ لاحظوا ان هذا الرقم يلاحق احداث جنسية المراة منذ بداية خلقها في الرحم حتى اواخر عمرها . فالصبية تكتمل انوثتها ويظهر اول حيض في حياتها بعمر ٢ × (٧) من السنوات . وتتكرر الاحاضة عندها في كل ٤ × (٧) من الايام . وتحدث الاباضة (التبويض) عندها في اليوم ٢ × (٧) من كل شهر . واذا حملت يصبح جنينها قادرا على الحياة خارج الرحم Viability بعد ٤ × (٧) من الاسابيع .. ويكتمل نمو الجنين في رحمها وتلده بعد حمل يطول الى ٤٠ × (٧) من الاسابيع . ويكتمل نفاسها بعد ٦ × (٧) من الاسابيع .

وفي القرن السادس ق . م او قبله بقليل ظهرت مدرسة في جزيرة (قنيدس) ثم أخرى في (قوص) القريبتين من الشاطيء العربي لاسيا الصغرى . واشتهرت جزيرة قوص لانتساب ابقراط ابى الطب اليها ، حيث ولد ودرس الطب في مدرستها ومارسه في ساحاتها قبل ان ينتقل الى اثينة واشتهرت قنيدس بدراستها للامراض

النسائية والتوليد . وبشيء اخر له علاقة بالنساء عامة ، ذلك هو وجود تمثال (افروديت) الاهة الجمال التي تنتصب عارية على شاطيء الجزيرة ، لتتكسر امواج البحر بتلذذ وخضوع ، على قدميها الرشيقتين . وتعتبر مدرسة قنيدس اول من تدارس موضوع امراض النساء ، كاختصاص ، في تأريخ الطب عموما (سارتون ٢/٢٢٣) .

❋ ● ❋

مرت فترة بين القرن السادس والرابع ق.م في حياة مقدونيا واليونان كانت فيها المرأة الحامل موضوع بحث من قبل الحكام والاطباء على السواء. اذ كانت اثينة يومئذ مهتمة جد الاهتمام بتهيئة نفسها عسكريا وذهنيا لصد غارات الدول المجاورة عليها ، وخصوصا من الجانب الفارسي . فارتأوا زيادة عدد السكان لتوفير القوى البشرية التي تستطيع صد المعتدين عليها ، وان ينشئوا الاطفال على التحلي بالقوة والبطولة . وافتى كبير فلاسفتهم ارسطو المتوفى سنة ٣٢٢ ق.م باسقاط الحمل في الامهات الولودات ـ اي الكثيرات الاولاد ـ حتى تتفرغ الام الى رعاية وتهذيب اقل عدد من الاطفال(١٦) . كما افتى حكامهم بقتل الاطفال الذين لا يحملون دلائل النباهة والذكاء ، او اللياقة

البدنية للحياة العسكرية(١٧) . وبديهي ان تنجز عملية الاسقاط على ايدى ذوي المهن الطبية . واذا كان الانتحار بالسم شائعا يومئذ ، وان الاطباء اقدر الناس في تحضير السموم القتالة لذا فاننا نحسب ان قتل الاطفال كان يتم بالسم وعلى ايدى الاطباء ايضا . ويبدو ان عمليتي الاسقاط والقتل بالسم قد كثر استعمالهما ، أو أسيء استطبابهما ، فارتأى عقلاء البلاد امثال فيثاغورس تلميذ مدارس بابل ، ايقاف عملية الاسقاط وقتل الاطفال ، واعطاء السم بصورة عامة . وقد يكون تلاميذ فيثاغورس لا فيثاغورس نفسه هم الذين دعوا الى ذلك . ويحتمل كثيرا ان فقرتي الادوية (المجهضة) والسموم القتالة قد الحقتا ب (قسم ابقراط) من قبل معتنقى اراء فيثاغورس لا من قبل ابقراط واضع القسم . وقد يكون ايضا انهما الحقتا بالقسم بعد موت ابقراط لا اثناء حياته(١٨) .

ويبدو ان المرأة قد استردت حقوقها الطبيعية في العصر الابقراطي ، وهو العصر الحضاري الزاهر في اليونان في ما بين منتصف القرن الرابع والثاني ق.م . فخصها الاطباء اهتماما بصحتها وصحة جنينها . وصار للقبالة علم وفن ، والقوابل لهن مكانة فسيحة في المجتمع . وقد عرف ان أم سقراط

المتوفى سنة ٣٩٩ ق.م كانت قابلة ذائعة الاسم في صنعة القبالة(١٩) . وينقل عن ابنها سقراط ان القابلة كانت يومئذ من ذوات العمر المديد الذي يوفر لها التجربة على تشخيص الحبل وطرق العناية بالحامل وتوليدها واستعمال الادوية في مداراة الولادة ومعالجة اختلاطاتها ، كما كانت تعرف الادوية لاسقاط الاجنة . ولا بد وان سقراط قد حصل على هذه المعلومات من امه القابلة(٢٠) .

ويعتبر ابقراط (٤٦٠ ـ ٣٧٥ ق.م) اول من اهتم بطبابة المرأة ، وما يخص انوثتها وحبلها ، وما يجب العمل لها اثناء الحمل والولادة والنفاس . قال في كتابه (خلق الجنين) ان الجنين يحصل على غذائه من الام ، ويصله منها عن طريق الرحم . فاذا كان الشهر الثالث من الحبل وصل بعض الغذاء الى الثديين حيث يخزن فيهما على صورة حليب ليكون غذاء للطفل بعد ولادته(٢١) . وقال ان الاجنة الذكور يكتمل خلقها في اليوم الثلاثين من حياتها الرحمية . أما الاناث فلا تكتمل قبل اليوم الثاني والاربعين . ويبدأ الذكر بالتحرك في الرحم في الشهر الثالث ، وتبدأ الانثى بالتحرك في الشهر الرابع(٢٢) وما نعرفه اليوم هو ان اطراف الجنين (ذكرا أم انثى) تبدأ بالحركة في الشهر الثالث فعلا الا ان

الام لا تحس بتلك الحركة قبل نهاية الشهر الرابع من الحبل . ووصف ابقراط نومة الجنين في الرحم فقال : (ان اليدين تكونان قرب الركبتين ، والرأس قرب القدمين) . ولا يمكن ان يكون الجنين في هذا الوضع الا منحنى الظهر ، ورأسه منثني على الصدر ، وفخذاه منثنيان على البطن . ولو قال ابقراط ان الرأس يكون قريبا من الركبتين لكان وصفه لنومة الجنين هي نفسها التي نعرفها في هذا اليوم .

وقال ابقراط عن ولادة الجنين ان (اكثر الاجنة الذين لا يجيئون على الرأس يموتون ، لانه اذا خرج بعض الاعضاء والرأس من داخل اختنق وكانت الولادة بكره ومشقة)(٢٣) . وتشمل ولادة الجنين بغير الرأس التي يشير اليها ابقراط ، الاعتلانات المستعرضة ، وسقوط الاطراف ، والمجيء بالمقعدة . وعلى هذا فلا يزال نص ابقراط الذي ذكرناه نافذ المعنى حتى الوقت الحاضر .

وقال ابقراط عن ولادة الجنين انها لا تتأخر بعد الشهر العاشر (القمري) لان الغذاء الذي يصل بعد هذا الشهر لا يكفي لادامة حياته فيتحرك طالبا الخروج من الرحم الذي لايوفر له متطلبات الحياة. فيمزق الاغشية التي تحيط به . فاذا فشل

الجنين في هذه العملية اي اذا طال بقاؤه في الرحم الى ما بعد الشهر العاشر دفعت القابلة الى المهبل دخانا بواسطة انبوبة تتصل بحريقة الى جانب الماخض وهي تعتقد ان هذا الدخان سيضطر الجنين الى مغادرة الرحم كما تغادر الحيوانات المختبئة في جحورها اذا اغرقت تلك الجحور بما يسبب لها الاختناق .

وفسر ابقراط كثرة التوائم في الحيوانات بوجود اكثر من جوف واحد في ارحامها . اما في الانسان فتقل التوائم لان الرحم فيه ذو جوف **واحد فقط(٢٤) .**

واجاد ابقراط في وصف الرحا Mole والرحم المتدمية Hematometria . ولو كان ذكرهما بالاشارة فقط لكفى دليلا على تفهمه العميق لمرضيات الحبل واختلاطاته .

وربما كان ابقراط اول من جد لاكتشاف طريقة علمية لتشخيص جنس الجنين . وسواء كان يعرف ان البابليين قد سبقوه الى هذه المحاولة ام لم يكن يعرف فان الرغبة الملحة في معرفة جنس الجنين كانت ولا تزال تشغل فكر الانسان منذ بدأ يفرق بين الذكر والانثى ويفضل احدهما على الاخر .

قال ابقراط ان الجنين الذكر يجعـــل الأم حسنة اللون حمـراء والانثى تكـون مصفـرة او مخضرة . كما يجعل ثديها الايمن اكبر من الايسر . أما في الحبـــل بتوأمين فان ثدياهــا معا يكونان كبيرين(٢٥) . وقال ايضا المرأة التي تحيض في كل اثنين وثلاثين يوما تلد الذكران على الاكثر ، والتي تحيض في كل ثلاثة واربعين يوما تلد الاناث(٢٦) .

كما يذكر ان ابقراط وضع توجيهات في كيفية الحصول على جنس الجنين الذي يتطلع اليـــه الابوان . كذلك كتب ابقراط في أوجـاع العذارى Primary - Dysmenorrhr واعطى نصائحه في معالجتها . وهو ايضا أول من قال في احتمـال حدوث الحبل مع وجود حمـل سابق في الرحـم Superfecundation وله في هذا الموضوع كتاب بعنوان (الحبل على حبل) ذكر فيه وضـع احد الجنينين بالنسبة للاخر ، وتأثير احدهما على الثاني من حيث الغذاء ووقت الولادة . ويبـدو هذا الحبل ليس قليل الحدوث من الوجهة النظرية، الا انه في الواقع بالغ الندرة في الانسان ، مألوف في الحيوان .

وربما لم تسجل منه الا حالتان منذ بدأ تدوين غرائب الاحداث الطبية الى هـذا اليـوم . كانت

احدى الحالتين في امرأة تمتهن الدعارة في ماخور بمرسليا ، والحالة الاخرى حدثت لامرأة امريكية سنة ١٨١٠.[٢٧] . ولولا ان كلا من المرأتين كانت مومسا ، وان كلا من التوأمين كان من لون يختلف عن الاخر بوضوح (أي من ابوين مختلفي اللون) لما استطاع أحد ان يعرف طبيعة هذا الحادث الغريب . فكيف فكر ابقراط باحتمال الحبل على حبل يا ترى ؟ .

وكتب ابقراط في الولادة المسبقة في الشهر السابع والثامن معتقدا ان الجنين الذي يولد في الشهر السابع يعيش . اما الذي يولد في الشهر الثامن فليس له نصيب في الحياة . وفيما يلي تفسيره لهذه النظرية .

كان اليونانيون يؤمنون بسيطرة الكواكب على الكائنات بما فيها من بشر وشجر وحجر . فلكل انسان كوكب يتحكم في حياته ، ولكل نبت كوكب يرعاه . ومثل ذلك لكل حدث كوكب محدث له . فحشائش البيبون مثلا بامرة كوكب الزهرة ، والسنامكي بامرة عطارد ، والسلا بامرة المشتري وهكذا . وكانوا يقطفون زهور هذه الحشائش ويجتثون جذورها تحت ظروف خاصة بكل نوع منها اذ منها ما يجب اقتلاعه بخلسة في حلكة الليل ،

ومنها اثناء اكتمال القمر . ونوع اخر على نغمات الموسيقى او ترتيلات المصلين . وبغير هذه الطقوس، فان هذه الحشائش تفقد مفعولها الطبي وقدرتها على اشفاء المرضى . كما كان اليونانيون يعتقدون ان النجوم تتناوب على تدبير حياة الجنين ونموه ، واكتمال خلقه ، وتوقيت مولده . فيكون في الشهر الاول من الحبل بادارة كوكب (زحل) وهو كوكب هادىء وبارد الطبع وتنعكس هذه الخصائص على الجنين فيكون على هذا ساكنا لا حراك فيه . ويكون الجنين في الشهر الثاني بادارة المشتري ، وهو كوكب طبعه الحرارة والرطوبة . وهما عاملان يثيران في الجنين النمو وتحديد الجنس . ويكون الجنين في الشهر الثالث في تدبير (المريخ) وطبع هذا الكوكب اليبوسة والحرارة وهما صفة الدم . فيتكون في الجنين الدم والاوعية الدموية . ويبدأ الجنين بالحركة في الرحم في الشهر الرابع لانه يكون حينئذ تحت حكم الشمس الحارة اليابسة ، المتململة دوما وابدا . ويكون الجنين في الشهر الخامس تحت حكم الزهرة وهو كوكب بارد فيثير فيه نمو الجلد والعظم . ويكون الجنين في الشهر السادس في تدبير (عطارد) المعتدل الطبع في الحر واليبس فيتكون فيه لسانه واداة سمعه . اما في الشهر السابع فيكون الجنين في تدبير القمر ، وهو

الكوكب السابع والاخير في المجموعة الشمسية . وفيه يحكم القمر بتمام خلق الجنين. ولان القمر اسرع الكواكب في الحركة فانه يثير تحرك الجنين لمغادرة الجوف الرحمي . فان ولد في هذا الشهر كتبت له السلامة وعاش . وان لم يولد تتسلسل عليه سيطرة الكواكب التي ذكرناها من جديد ، واحدا بعد الاخر ، فيعود الكوكب الاول وهو زحل البارد الراكد على حكم الجنين في الشهر الثامن . فاذا ولد في هذا الشهر انحدر راكدا بلا حركة ، وكثير الفساد فلا يعيش . واذا لم يولد في هذا الشهر فانه سيكون في الشهر التاسع تحت سيطرة المشترى مرة أخرى وهو الكوكب الرطب الحار والمليء بالحياة . فاذا ولد في هذا الشهر كتبت له السلامة(٢٨) . وسوف نرى فيما يلي ان نظرية ابقراط في الولادة المسبقة التي شرحناها قد انحدرت عبر القرون الطويلة حتى وصلت الى العرب الاوائل ، والى معتقدات العامة في الوقت الحاضر .

الطب النسوي في مدرسة الاسكندرية

في القرون الثلاثة التي سبقت الميلاد كانت الاسكندرية مركز العلم والعلماء في دنيا تلك الحقبة. وبالرغم من ان حكم البطالسة فيها كان لـه طابع استقلالي عن الحكومات اليونانية في ديار سوريا وبابل ، الا ان حضارتها كانت يونانية خالصة . وفي مطلع القرن الثامن من الحقبة المذكورة ظهر في الاسكندرية العالم الفسيولوجي الشهير ايراستراتوس (٣١٠ ـ ٢٥٠ ق.م) مساعد هيروفلس عالم التشريح الكبير وواضع قواعد هذا العلم . وينسب الى ايراستراتوس استعمال اول آلة لتقطيع الجنين(٢٩) في الولادات العسرة . ومن يبحث عن حيلة لاستخلاص الاجنة المتعسرة في المسلك الولادي لابد وان يكون قد مارس التوليد بقدر كاف لتدفعه الحاجة المتكررة الى اختراع الالة المذكورة .

وفي القرن الثاني ب . م ظهر في الاسكندرية ايضا اعظم طبيب يوناني بعد ابقراط . بل هو اكثر من ابقراط علاقة بالفكر الطبي العربي ، واشهر منه

على السنة العرب . هو جالينوس[٣٠] المتوفى سنة ٢٠١ م . ويحتمل ان يكون هذا الطبيب اليوناني أول من شرح الحوض والرحم . وهو على العموم اعمق في معرفة موضوع التشريح بالذات من ابقراط الذي هو استاذه في الروح على بعد الزمن فيما بينهما ، فقد اتبع اكثر خطواته وآمن بمعظم أفكاره، وكتب في الولادة المسبقة على نظريته التي ذكرناها آنفا .

وعرف في ذلك العصر عن امرأة كانت تمتهن صناعة الطب اسمها « قلا وبطر »[٣١] . عاصرت جالينوس وقيل انه درس عليها طب امراض النساء وطرق معالجتها .

كتب جالينوس في قلة الطمث وغزارته ، وفي منع الحبل واسقاط الجنين ، وفي الحمل والولادة. وفي حالات مرضية نسائية أخرى كثيرة . قال ان زرق ماء العسل في الرحم يشفى القرح التي تتكون في داخله ، وان شرب نقيع « لسان الحمل »[٣٢] تقطع النزف الرحمى المفرط . وان تحميلات من زهر الاقحوان تفيد لدر الطمث . واوصى لمنع الحبل مسح الذكر بعصارة البصل او القطران وقت الجماع .

وقال جالينوس ان اجزاء الجنين البيضاء اللون تتكون من المنى لا من الدم كما اعتقد ارسطو ، **اما اجزاؤه ذات اللون الاحمر فتتكون من دم الحيض** أي ان جالينوس عرف ان الجنين حصيلة امتزاج مادة من الرجل واخرى من المرأة ، لا من منى الرجل وحده كما كان يعتقده العلماء قبل جالينوس .

وعرف جالينوس ان ثمة علاقة فسيولوجية بين الحمل (الجنين وملحقاته) وتكون اللبن في الثديين . وقال ان كثرة اللبن في ثدي الحامل يدل على ضعف الجنين(٣٢) . وهذه الملاحظة دقيقة وعلمية ، وقريبة جدا مما نعرفه اليوم عن علاقة ظهور اللبن في الثديين وهورمونات المشيمة . واوصى جالينوس للتخلص من الجنين الميت بتحميلة مهبلية من القطران . أما في حالة الولادة المتعسرة فاوصى بزرق ماء البصل في مهبل الماخض.

وفي وقت يقارب زمان جالينوس عاش طبيب يوناني اسمه (فلفوريوس) بحث في تشريح الرحم ووضع مقالة في هذا الموضوع بعنوان خلق الرحم كما بحث في الامراض الرحمية . فأخذ عنه الرازي في كتابه الحاوي . اما اورباسيوس القوابلى فقد عاش بعد جالينوس . ولبحوثه في موضوع الولادة والتوليد لقب بالقوابلى . وربما كان أورباسيوس

اول من اوصى بالرياضة والطعام المعتدل للحامل ، وخصوصا التي تشكو من التبزق والقيء .

وفي القرن الثاني نفسه ظهر طبيب يوناني في في مدينة افسس الواقعة على الشاطىء الاسيوي من البسفور ، هو (روفس) الذي يكتب عنه الاوربيون بايجاز . أما ابن ابى أصيبعة المتوفى سنة ٦٩٦ هـ /١٢٩٦ م فينعته بالعالم الكبير ، وينسب اليه اكثر من عشرين كتابا في الطب ، واحد منها في موضوع الولادة(٣٤) . وكتاب اخر في اسقام الرحم وكتاب ثالث في علاج احتباس الطمث . وتعتبر هذه الكتب ذات قيمة كبيرة في الطب النسوي لان جل محتوياتها ماخوذة من اعمال هيروفلس وايراستراتوس في تشريح وفسلجة الاعضاء الانثوية التي ليس لها وجود . كما صارت كتب روفس بدورها أهم مصادر موسوعة (اتيوس الامدى) التي وصلت الى العرب .

وهناك يوناني اخر اسمه (سوراس) ، هو ايضا من مدينة أفسس ، ومعاصر لسورانس ، ويعتبر اخر من اشتغل من اليونانيين القدماء في الطب النسوي ، وربما اكثرهم عملا به واصالة في الابتكار . وينسب اليه استعمال كرسي التوليد ، والشاس لحشو الرحم في حالة النزف بعد الولادة .

كما تنسب اليه عملية تدوير الجنين المعتلن بالمقعدة، واستطباب استئصال الرحم في حالة سقوطه . ولسورانس ايضا اعمال في طبابة الاطفال(٣٥) .

وظهر في الاسكندرية ايضا ، في زمن يسبق قليلا دخول العرب الى مصر سنة ٢٢ هـ/٦٤٢ م ، بعض الاطباء الذين لهم باع طويلة في الطب النسوي، منهم القس اهرن ابن اعين ، واتيوس الامدى ، ويولس الاجيني . ويتكرر ذكر هذه الاسماء في أشهر التراثيات الاسلامية وخصوصا في كتب الرازي وابن سينا والمجوسي وابن رضوان المصري والزهراوي .

واصل اهرن بن اعين من يعاقبة الاسكندرية. انخرط في سلك الرهبنة ثم تعلم الطب . وله كناش معروف باسمه ترجمه الى العربية الطبيب البصري مارسرجويه في خلافة مروان بن عبدالملك . وقيل ان ذلك الكناش كان يتضمن اول وصف للجدري ، كما يتضمن معلومات وقواعد في الامراض النسائية جعلت له ذكرا على لسان الاطباء العرب في هذا الاختصاص . قال في اختناق الرحم Hematometra (يكون الاختناق في الارحام من احتباس الطمث ايضا لان عروقها تمتلىء فتمتد لذلك عرضا وينقص طولها ، وتتشمر الى فوق . .

وتكون من غلظ يكون في اعالى الرحم فيمتد بذلك الرحم الى فوق ويزدحم الحجاب ، فيضيق النفس ويهيج الغشى)[٣٦] .

أما يولس الاجيني (٥٢٦ ـ ٦٩٠ م) فهو من مواليد جزيرة اجينا القريبة من شواطيء اثينة . ابحر الى الاسكندرية وتعلم الطب فيها . وهو جراح أكثر مما هو طبيب عام ، وله في الجراحة النسائية خبرة واسعة ، وابتكارات من اعماله الخاصة بـه حتى سماه الاطباء العرب (يولس القوابلي) . وقد كتب في كل مواضيع التوليد المتعارف عليها يومئذ سوى عملية تدوير الجنين Version . ولشـدة تعلق العرب بارائه فانهم اهملوا ذكر هذه العملية مثلما اهملها يولس ، وبقت في النسـيان حتى القرن السادس عشر . فبعثها الى الوجود المولد الفرنسي (امبروا بارى) المتوفى سنة ١٥٦٠ .

وبحث يولس في نزر الطمث ، وهي حالـة مرضية تكثر بين الفتيات ، ونصح لمعالجتها تناول طبيخ الحلبة مع العسل ، واستعمال تحاميل مهبلية من ورق المزرنجوش . ونصح الحبلى التي تشكو من تقلب النفس والقيء وخفقان القلب ، وبطلان الشهوة الى الطعام برياضة المشي وتجنب الاطعمة الحلوة وتناول النبيذ الصافي .

وقال يولس الاجيني في عفل الرحم Inverion (ان الرحم ينتو ويخرج الى خارج، وما أقل ذلك . ويعرض اما من سقوط المرأة من موضع عال فتنشق الصفاقات التي تحبس الرحم واما بجذب المشيمة بعنف فيجذب الرحم معها . كما يكون في عسر الولادة وجذب الجنين الميت على غير حزن (بلا رفق أو اهتمام) أو لاسترخاء الجسد كله لفزع شديد . وذلك اكثر ما يكون في المسنات . وانما يزلق بعض الرحم . وقال بعض الناس انه قد يخرج كله ، ولم أر أنا ذلك ، ولا ادري كيف يمكن ان يثبت ويرجع اذا زلق كله)(٣٧) .

ويهمنا امر ايتوس الامدى (منتصف القرن السادس الميلادي) بصفة خاصة لان كتابه في الامراض النسائية والتوليد كان معتمدا من لدن الاطباء العرب ولانه ايضا يتضمن جل اعمال الاطباء اليونانيين في هذا الاختصاص منذ اشتغالهم به حتى عصر ايتوس . فالكتاب على هذا خلاصة ما وصل الى العرب من اليونانيين من الطب النسوي.

وايتوس الامدى او الديار بكري يوناني الاصل من مواليد ديار بكر واليها ينسب . درس الطب في الاسكندرية والتحق بحاشية الامبراطور البيزنطي جستانيان الاول (٥٢٧ ـ ٥٦٥ م) . ويعتبر من

اطباء اليونان الذين اشتغلوا في الامراض النسوية باهتمام وشغف ، وله في هذا الاختصاص كتاب حسن التبويب ضمنه فسلجة الرحم وتشريحه ، واسباب العقم وعلاجه ، وعلامات الحمل واختلاطاته ، وانواع الولادة وطرق مداراتها . كما أدخل فيه طب الطرق البولية ، والثديين، وامراض الجلد والاعتناء بتجميله كجزء مهم وبارز في أنوثة المرأة . وبالرغم من وفرة معلومات أيتوس الامدى التي يمكن ان تكون وحدها كافية لعلاج المرضى . فانه قد استعمل الى جانب ادويته العلمية التعاويذ والصلوات في علاج بعض الحالات المرضية النسائية والولادية . ويبدو ان هذه النزعة الدينية في العلاج كانت من سمة ذلك العصر المسيحي الذي سيطرت عليه الافكار الروحية وادعية الرهبان .

الطب النسوي عند العرب

عند دخول عمرو بن العاص مصر سنة ٢٢ هـ /٦٤٢ م كانت المدارس الطبية في الاسكندرية قد فقدت مركزها العلمي الزاهي الذي تمتعت به خمسة قرون انتهت بوفاة جالينوس سنة ٢٠١ م الا انها حاولت ان تستعيد شيئا مما فقدته من مجدها المندثر . فانبرى لاحياء تراثها القديم بعض علمائها امثال كلادوس ، وجاسيوس ، واهرن القس . ويحيى النحوي . وربما شارك هؤلاء الطبيب العربي عبدالملك بن ابجر الكناني(٣٨) . وفي هذه الحقبة والقرنين السابقين لها كانت اقوام الجزيرة العربية تعيش في عصرها الجاهلي المتميز بالبساطة والعرف والتقليد . ومعلوماتنا عما كان لديهم من الطب عامة ، والطب النسوي بصفة خاصة ليست وافية ولا موثقة الا ما ورد منها في الامثال والشعر ، وما انحدر منها الى عهد الاسلام ودخل في الطب النبوي . على انه من الطبيعي جدا ان تكون هناك ثمة من كان يعمل في القبالة . كما كان كثير من

المواخض من يقمن بتوليد انفسهن بانفسهن مثلما تفعل البدويات بالوقت الحاضر . وكان البعض ايضا يمارس الاجهاض ، واسقاط الجنين (الحشيش) أي الجنين الذي يموت في بطن أمه ويجف . كما ورد في الاخبار ان الرجل الزوج كان يعالج الحالة الاخيرة بعملية تسمى (السطو)(٣٩) . وبالرغم من أننا لا نعرف شيئا عن خطوات هذه العملية الا اننا نستنتج من اخبارها ان الرجل ربما مارس عمليات الولادة العسرة حين تفشل المرأة القابلة في عملها . اذ في تأريخ الولادة حوادث كثيرة يتقدم منها الزوج أو من مارس توليد الانعام فيعمل ما تعجز عن عمله القابلة . وأحرى ان تكون هذه الحوادث اكثر شيوعا في حياة البدو ، في كل مكان.

وكان ختان الصبيات مألوفا قبل الاسلام . ويروي ان الصحابية الجليلة (أم عطية الانصارية) ظلت تمارس هذه العملية بعلم من النبي محمد وانه صلوات الله عليه قدم لها النصح في هذا الموضوع(٤٠) .

ولم يمض اكثر من نصف قرن الا قليلا على عصر أم عطية الانصارية حتى صار العرب يلتفتون الى شؤون المرأة الصحية والادوار التي تمر بها الحامل والنفساء بكثير من الاهتمام . قال تياذوق

طبيب الحجاج بن يوسف الثقفي المتوفى سنة ٩٦ هـ/٧١٤ م : (ان المشيمة لا تبقى بعد الولادة زمنا طويلا . فان ابطأ سقوطها فلا تمدها (أي لا تسحب عليها) بل شدها (أي احزمها واربطها) الى الفخذ (أي الفخذ النفساء)[٤١] وتعليمات تياذوق لمن يعمل في القبالة باجتناب انسحب على المشيمة تصل ، من الوجهة الفنية ، الى اعلى المراتب بين قواعد ممارسة مهنة التوليد . ويقول تياذوق في هذا الموضوع ايضا (ان التعطيس يسهل اندفاع المشيمة . فان بقيت في الرحم تنتن نتنا شديدا أو تعفن . وتعالج في هذه الحالة بالادوية المدرة للطمث) .

ويعتبر اول من كتب في فسلجة الاعضاء الانثوية وخلق الجنين وطبيعة الحبل والولادة من كتاب العربية هو ابن ربن الطبري[٤٢] (القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي) . قال ان المرأة الحبلى لا تطمث لان فضول بدنها تصير غذاءا للجنين ، وان طمثت اسقطت او ضعفت هي وجنينها) وقال وهو ينقل عن ارسطو (ان اول كل شيء يكون من الجنين هو القلب لانه موضع الحياة ومستقر الحرارة الغريزية ويكون من بعده الدماغ لانه موضع الحواس ومنبت العصب . ومنه الحس والحركة)

ويحث ابن ربن الطبري في تشخيص جنس الجنين في الرحم وقال : انه يكون ذكرا اذا حصل الاخصاب عقب الحيض ، وان الحبلى به اذا قامت اعتمدت على يدها اليمنى وكذلك اذا قعدت وبالضد . أي اذا اعتمدت على اليد اليسرى فانها تحمل انثى . كما تسودّ حلمة الثدي الايسر اولا ثم الايمن في الحبل بالانثى . وتكون الحامل حسنة اللون سمينة الوجه قليلة النمش والكلف وفرحة ولا تشتهي الجماع اذا كان حملها ذكرا ، وبالضد من كل هذا كله في الحبل بانثى(٤٣) .

ومما يلفت النظر ان الطبيب المذكور الذي هو من الرعيل الطبي الاول في العهود الاسلامية ، بل هو اقدمهم عموما ـ لم يتطرق في كتابه فردوس الحكمة للولادة المسبقة في الشهرين السابع والثامن كما فسرها ابقراط ، بينما كان عريب بن سعيد القرطبي الذي عاش بعد ابن ربن الطبري بما يقارب القرن من الزمان ، يكتب في هذا الموضوع بتفصيل وايمان عن نظرية ابقراط التي ذكرناها سابقا .

في مطلع القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي سيطر الاطباء العرب على ممارسة المهنة وصاروا يبحثون في فنونها ويكتشفون الكثير مما لم يدركه الاطباء اليونان . وعرفوا ان المرأة الحامل

هي غير المرأة غير الحامل من الناحية العلاجية ، فحاذروا من اعطائها بعض الادوية في اشهر معينة من الحبل . ووضع يوحنا بن ماسويه(٤٤) طبيب الخليفة المأمون كتابا باسم (لم امتنع الاطباء من تطبيب الحوامل في بعض شهور حملهن) .

وابن ماسويه المتوفى حوالى سنة ٢٤٣ هـ/ ٨٥٧ م عمل في الطب كما عمل في الترجمة ، وهو أول رئيس لبيت الحكمة ، ولاه الخليفة المأمون هذا المنصب . وكان من اشهر تلاميذه شيخ المترجمين عموما حنين بن اسحاق العبادي المتوفى سنة ٢٦٠ هـ/٨٧٣ م . وكان العقم كما هو الان مشكلة طبية واجتماعية معا ، اهتم لها ابن ماسويه ووضع فيها كتابا بعنوان (علاج النساء اللاتي لا يحبلن حتى يحبلن) وقال في اسباب العقم (انه يكون بسبب فساد المزاج ، او سد في الطريق التناسلي ، او لوجود ورم فيه ، أو لشذوذ في الطمث ، او لكثرة الشحوم في البدن) وكان ابن ماسويه يهتم بامر الطمث ويحسبه ضروريا للحبل وغذاءً (للحمل)

واعتبر تعديل الطمث غير الطبيعي ، لانقطاعه أو لنزرته أو لفرط دمه جزءً مهما من معالجة العقم . كما اعتبر نقاء الطمث من نقاء الرحم ، واوصى لهذه الحالة بتناول اللوز المر ، والدار صيني المر ،

والكمون النبطي ، وبزر اللقاح . كما اوصى لدر الطمث تناول الكرفس والكراث والحمص وطبيخ الكرنب وقشور الكبر والزعتر البري . ونصح لدر الطمث ايضا فرزجة معمولة من عصارة الشقائق والاشنان الفارسي . اما لعلاج كثرة الدم الطمثي فنصح بتناول صمغ شجرة الجوز ، أو تحميلة من الكمون والزيت العتيق(٤٥) .

ولمنع الحبل أوصى ابن ماسويه بتحميلة مهبلية من الفلفل تستعمل بعد الجماع مباشرة . أو جرعة من السذاب . أما لمنع الحبل الابدى فاوصى باستعمال تحاميل مهبلية من روث الفيل(٤٦) .

وعالج ابن ماسوية موضوع الجنين ووضع كتابا فيه بعنوان (كتاب الجنين) . وقال ان اختلاف الشهور لها علاقة بالاسقاط . وان بعض الادوية تسبب الاسقاط ، وذكر من هذه الادوية المجهظة نبات (لوف الحية)(٤٧) الذي يسميه الاندلسيون الصراخة أو الفرغينة . وانتبه ابن ماسويه الى تكرار الاسقاط لاكثر من مرتين وعزا حدوثه الى رطوبة أو ريح في الرحم وعالجه بوصفات من بزر الكرفس والسكر العتيق وفرزجات من النفط الاسود والزعتر ودهن البلسان وعلك الانباط .

وفي ذلك العصر الذي كان يعمل به يوحنا ابن ماسويه كتب طبيب عربي اخر هو عيسى بن ماسة كتابا بعنوان (مسائل في النسل والذرية) وكتابا اخر بعنوان (الرؤيا) ضمنه اسباب عدم معالجته للحوامل واختلاف الرأى في هذا الموضوع . والى ذلك الزمان كانت لا تزال افكار ابقراط فيما يخص الولادة المسبقة التي ذكرناها تتردد بايمان على السنة الاطباء والقوابل والناس جميعا حتى جاء أبو زيد حنين بن اسحاق العبادي صاحب الكتاب الشهير (مسائل حنين) وكتاب (فيمن يولد لثمانية أشهر) فخالف رأي ابقراط في الولادة المسبقة وفنده بالادلة على المشاهدة ، وقال ضدا لما يعتقده الاطباء جميعا في ان (اكثر المولودين لسبعة اشهر يموت لانه يصيبهم تغيير عظيم وتسوء حالتهم . والاجنة الذين يولدون لثمانية أشهر يمرضون وتسوء حالتهم[٤٧] ورأي حنين بهذا الصدد اختلاف صارخ وتحد لما كان يؤمن به الاطباء يومذاك. وبقى حنين وحده بين مئات الاطباء معارضا لفكرة ابقراط ومن تبناها طيلة العصور الاسلامية.

وفي كتاب مسائل حنين اضافة الى ما تقدم ذكره ملاحظة تستحق اعظم الاهتمام والتقدير اذ ذكر الكاتب (ان الذي يعرض للجنين في الشهر

الثامن انقلابه ... وفي الثامن ينقلب الجنين فيصير رأسه الى أسفل) وهي حقيقة ذات اهمية عملية في التوليد لم يسجلها طبيب قبل حنين . وما نعرفه اليوم عن وقت اتخاذ الجنين الاعتلان بالرأس قبل الولادة لا يختلف عما كتبه حنين بهذا الموضوع . كما يفهم من نصوص حنين المتقدمة انه يعزى الولادة المسبقة الى حركة الجنين المعتلن بغير الرأس فتسبب اطراف الطفل تمزق اغشية المشيمة وتحرض الرحم على الطلق الولادي .

بعد نصف قرن تقريبا من وفاة حنين ابن اسحاق سطع في ميدان الطب ابو بكر محمد الرازي المتوفى سنة ٣٢٠ هـ/٩٣٢ م . والرازي اعظم طبيب سريري بعد ابقراط ، ومن اعلام الطب على مدى عصور التأريخ . له ما يزيد على الخمسين كتابا في الطب ، اضافة الى الكتب الاخرى في الكيمياء والطبيعيات والفلسفة . واشهر كتبه عموما (كتاب الحاوى في الطب) . وهو موسوعة ضخمة بثلاث وعشرين جزءً في مختلف فروع الطب. خصص الجزء التاسع منها للامراض النسائية والتوليد . والكتاب تجميع لما كان يسمعه الرازي من معاصريه الاطباء ، او مما يقرأه في كتب علماء اليونان أو العرب الذين سبقوه كابقراط وجالينوس وديوسقريدس ومارسرجويه وابن ماسويه وابن ربن

الطبري وغيرهم . وتوفى الرازي قبل ان يضع كتابه في شكله النهائي ، فاخذ ابن العميد مسوداته من خديجة أخت الرازي ودفعها الى من يعمل في الطب لتنسيق محتوياتها وتبويبها فكان منها مجموعة كبيرة من الكتب ، سموها (الحاوى في الطب) . والكتاب بمجموعه واسلوب تأليفه لا يفيد المبتدئين في هذه المهنة بقدر ما يفيد المتقدمين فيها . وهو عملي اكثر مما هو نظري اذ تنقصه المقدمات الضرورية في العلوم الاساسية التي يجب ان يتعلمها من يريد ان يمتهن هذه الصناعة .

ذكر الرازي في الكلام عن الحبل والولادة (ان اسرع النساء الى الاشتمال هن اللاتى بين الخامسة عشر والاربعين من العمر ، ومن ليس في اجسامهن ترهلا ، ومن حيضهن معتدلا ، وعنق الرحم فيهن في موضعه الطبيعي)[٤٨] . وهو منطوق لا يزال نافذ المفعول في الطب .

وحاول الرازي تشخيص (العقم) في المرأة (ان تجلس ويغطيها بملائة ثم يبخر من تحتها ، فاذا أحست برائحة البخور في انفها كان ذلك دليلا على انها غير عقيم)[٥٠] . وتدفعنا الفكرة في طريقة هذا الفحص ان نتذكر طريقة (روبن) التي يدفع فيها غاز ثاني اوكسيد الكاربون الى داخل الرحم ،

ثم يتحرى بالتسمع او بالاشعة وصول الغاز الى الجوف البطني .

وقال الرازي في علامات الحبل ، اذا رأيت (احتباس الطمث ، ويبس الثفل ، وذهاب الشهوة، والاضطراب ، والاقشعرار والغثي وشهوة الاشياء الرديئة ، فقل للقابلة تجس عنق الرحم ، فان كان منضما بلا صلابة دل على حبل)[٥٠] .

ويعتبر الرازي توقف حركة الجنين ، وضمور الثديين ، ونزول الطمث علامات سيئة . ونقل عن جالينوس قوله : (ان الحمام متى أطيل فيه المقام اسقط الجنين ، ومتى استعمل اثناء الولادة عجل خروجه) . وقال ايضا : (يحدث الاسقاط من تناول المسهلات ومن سقطة ، وفزعة ، ومن الحمى، والغم الشديد)[٥١] واعتبر نزول اللبن في ثدي الحامل دليل على ضعف الجنين . ونقل قول ابقراط في (ان موت الجنين يسبب ضمور الثديين).

وكتب الرازي في طبيعة الولادة وميكانيكيتها والمضاعفات فيها وعدد اسباب العسر التي من الأم، والتي من الجنين ، ومن فعالية الرحم ، فقال : (كل مولود لا يخرج مرأسا فانه يصعب خروجه) ثم قال واشكال الولادة الرديئة (اما ان تقتل الجنين والأم ، او يتورم الجنين بشدة الخروج ويموت في

الاكثر ..) ويذكر الرازي اسباب عسـر الولادة فيقول : (عسر الولادة يكون اما من أجل الوالدة أو من أجل المولود ، أو من أجل المشيمة أو مـن أجل الاشياء التي من خارج . أما من أجل الوالدة فان تكون سمينة أو صغيرة الحجم او لم تلد قط (بكرا) أو لانها حارة ، او لان في رحمها ورما ، او لان رحمها ضعيف (Inertia) لا تقـدر ان تدفع .. واما من أجل المولود فان يكون خروجـه قبل الزمان الذي يجب Premature ، او يكون (أي الجنين) عظيما او صغيرا جدا او كبير الرأس، او له خلقة مشوهـة ، او ميت ، او مريض ، او لانهم كثيرون (Pleurial - twin) ، او لان شكله غير طبيعي ، والشكل الاجود (فيما يخص الجنين) ان يكون رأسه نحو فم الرحم ويداه مبسوطتين على فخذيه غير مائل الى جانب . والذي يليه (في شكل وضع الجنين) ان يكون مرتجلا الا انه يكون مائلا الى قبالة فم الرحم وتكون يداه غير معترضتين ، فأما غير هذا فانه غير طبيعي)[٥٢] ولجمـال هـذا النص وشموله لكل اسباب عسر الولادة ، وبساطة الفاظه فضلت نقله كما هو . اذ ان أي تفسير او تفصيل لمفردات بنوده لا تكشف اكثر مما يفهم من ظاهر تعابيره .

ووصف الرازي (الرتقة) وهي الحالة التي ينسد فيها المهبل جزئيا أو كليا بحاجز من الانسجة التي تتكون خلقة قبل الولادة ، او إكتسابا بعدها. وقال : (اذا كان الانسداد كليا فلا تصلح المرأة للرجل كما لا يكون لدم الطمث منفذ للخروج . واذا علقت فلا يكون للجنين مسلك للخروج فيموت كما تموت امه)(٥٣) . وذكر نوعا للرتقة التي تكون في عمق المهبل ، ونوعا اخر في القسم الدانى منه .

ومما يجلب النظر ، دقة وصف ألرازي لبعض الامراض النسائية مما يمكن اعتبار ذلك تفنيدا لمن ينكر ان الرازي قد مارس الحالات الجراحية . قال عن السرطان في الرحم : (يكون ورما جاسيا ، له بنك (قاعدة) متحجرة الى الحمرة ، ويكون أي السرطان في عنق الرحم . ويعرض منه وجع شديد بالاربتين واسفل البطن والعانة والصلب . ويشق عليه (يمزقه) لمس اليد ، فان كان مع ذلك متعفنا قرحا سال منه صديد . . ولا برء له)(٥٤) . وليس لدينا اليوم ما نضيفه على ما ذكره الرازي في وصف هذا المرض باجمال .

وقال الرازي في (الرحا) Mole هذا لحم يتولد في الرحم من طول احتباس الطمث ، او مرض من امراض الرحم عتيق . ويفرق بينه وبين

السرطان انه لا يسيل منه شيء ويلزمه اعراض الحبلى . ويفرق بينه وبين الحبل انه لا يسيل منه شيء وان له نخسا كنخس المسلة وانه لا يتحرك كتحرك الاجنة)(٥٥) .

ويفهم من كتابات الرازي انه لم يكن يفحص بنفسه على الاعضاء الانثوية في المرأة لاسباب تقليدية أو نفسية ، وانه كان يسأل القابلة ان تفحص عليها بعد ان يرشدها الى طريقة الفحص والهدف منه . ولابد وان القابلة المتمرسة في اعمال التوليد والتي هي المرضة بنفس الوقت قد صارت لها خبرة لمعرفة طريقة الفحص والتفريق بالجس المهبلى بين مختلف الاعضاء الانثوية الداخلية وما هو غير طبيعي فيها . كما كان الرازي يستعين بالمرآة لرؤية الاعضاء التي يصعب مشاهدتها بالطريقة المباشرة .

وكتب الرازي في الامراض الاخرى التي تصيب المرأة كالتهابات الرحم ، واورامه ، وسقوطه وانقلابه ، وعفله Inverison ، واختناقه ، واوجاعه عند العذارى ونحو ذلك .

وفي حكم المستنصر بالله بقرطبة (٣٥٠ ـ ٣٦٦ هـ/٩٦١ ـ ٩٧٦ م) نشر طبيب قرطبي اسمه عريب بن سعيد كتابا في موضوع الحبل والولادة

بعنوان (خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين) . وهو اول كتاب في تأريخ الطب عامة جعله المؤلف مختصا بشؤون الحمل والحامل ، وهو الموضوع الذي توليه اليوم مؤسسات العالم الكبرى اعظم الاهتمام وتخطط فيه المشاريع الضخمة لرعاية الأم ووليدها . وفي هذا الكتاب معلومات وفيرة عن (خلق الاجنة في الارحام ومواقيت تحريكها ، والعلاج المعين على صحتها ، والاسباب المستدل بها على الذكران والاناث منها) . وفيه ايضا ذكر لاسباب العقم في النساء وتشخيصه وعلاجه . ومعلومات وافية عن الحبل وأيامه، ووقت الاسقاط والوضع في أشهره ، وعن الولادة المسبقة في الشهرين السابع والثامن ، ويعتمد عريب في هذا الفصل على اراء ابقراط وفعل الكواكب في مواقيت الوضع . وقال في موقف التدليل على صحة تلك الاراء ان عبدالملك بن مروان الاموي وعامر الشعبي، وجرير الشاعر ، قد ولدوا في الشهر السابع فعاشوا . أما المسيح الذي ولد في الشهر الثامن وعاش خلافا للقاعدة فتلك ارادة الله تعالى ليجعلها آية للعالمين(٥٦) . كما في الكتاب معلومات ممتعة واصيلة في انواع الولادة العسرة .

وفي اواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ظهر في مصر الفاطمية طبيب من اصل

عراقي اسمه احمد بن محمد البلدي المولود في مدينة (بلد) القريبة من الموصل ، ووضع كتابا قيمـــا في رعاية الامومة والطفولة بعنوان (تدبير الحبالـى والاطفال والصبيان ، وحفظ صحتهم ومعالجـة الامراض العارضة لهم) . يتسلسل المؤلف في هذا الكتاب من ذكر علامات الحبل واعراضه وما يخالطه من امراض وتأثيرها على الأم والجنين الى اختلاطات الولادة والنفاس . وذكر ان تورم الرجلين مـــن علامات الحبل . وان انقطاع الطمث من اعراضـه المهمة . اما (جريان الدم وانبعاثه في ايام الحمـل فانه ان كان ما يجرى منه شيئا قليلا نزرا مرتين وثلاث فليس ذلك مذموم ولا دليل ضعف في الطفل ولا على مرض به .. ثم يقول : فاما ان كان مـا يجرى من الطمث كثيرا وفي الاوقات التي كان عليها قبل الحمل ، حافظا لايامه واوقاته والمقدار الذي كان عليه أو قرب منه فان ذلك ردىء يدل عـلى ضعف الطفل ومرضه) .

وقال احمد البلدي في علامات قرب الولادة : (كمال شهور الحمل وانخفاض الرحم الى اسـفل وانفتاح العانة ، وسيلان رطوبة لزجة من المهبـل (البشارة) ، وتفتح عنق الرحم) . وقال في اسباب تعسر الولادة : (السمنة المفرطة ، وصغر الرحم ،

والخوف من الولادة ، والولادة قبل الوقت ، او مرض في الرحم او ضعف في دفعه للجنين . او شذوذ في حجم الجنين او كبر في رأسه) .. كما يذكر البلدي في اختلاطات الولادة : (احتباس المشيمة والنزف المفرط بعد الولادة وزلق الرحم) ويعزى الحالة الاخيرة الى سحب القابلة على المشيمة . وابن البلدي مصيب في كل ما مر ذكره .

ويمثل احمد البلدي فئة طبية لها نظرة جديدة على طبيعية الحبل وفسلجتها فقال ان (تكون الجنين وتصوره وخلقته يكون اذا اجتمع منى الرجل ومنى المرأة في الرحم واختلطا وامتزجا وصارا كالماء الواحد .. وكالذات الواحدة) . وكان الاطباء قبل عصر احمد البلدي يعتقدون ان دم حيض المرأة لامنيها هو الذي يشارك منى الرجل في خلق الجنين . وذكر منى المرأة في هذه العملية قريب جدا من معرفة بويضات المرأة التي تمازج حوينات الرجل عند الخصاب . ومن الابداعات في كتاب ابن البلدي وصف التطورات الخلقية التي يمر بها الجنين اثناء نموه في الرحم ، وهو وصف لا يبتعد كثيرا عما نعرفه اليوم في علم الاجنة . قال عن الجنين في الاسبوع الثاني (ينشأ في وسطه أصل وعرق ملقية عند فم الرحم ليجتذب من تلك الافواه

ما يحتاج اليه كما تلقى الفروس المغروسة في الارض عرقا تجتذب بها الرطوبة من الارض) . ويتسلسل احمد البلدي في وصف الاطوار التي يمر بها الجنين اسبوعا بعد اسبوع وشهرا بعد شهر . فيقول في حركته (ويتحرك في تمام سبعين يوما ، ومنه ما تكون حركته في ثمانين يوما ومنه في تسعين يوما ومنه في ماية يوم اكثره) . ويأخذنا العجب ان يكتشف الاطباء عهدئذ كل هذه الحقائق عن خلق الجنين . ولابد وانهم توصلوا الى ذلك من دراسة ما يناظر تلك الحقائق في النبات والحيوان .

ويجيد احمد البلدي كل الاجادة حين يذكر القواعد الصحية للحامل ، وعلامات الولادة السرحة والسليمة ، والعسرة ومخاطرها . ويذكر في هذا الفصل احتباس المشيمة والنزف المفرط بسببها ، وزلق الرحم واندفاعه الى المهبل Inversion

وحين يذكر مواصفات الوليد الطبيعي المتعافى ، لا ينسى الكلام عن فحص (مداخله ومخارجه) كالفم والمنخرين ومنفذ البول والبراز . فقد تصيب هذه بعض العاهات والتشوهات الخلقية التي يسبب عدم اكتشافها بالوقت المناسب هلاك الطفل.

وممن كتب في موضوع الحبل والولادة علي ابن العباس المجوسي المتوفى حوالي سنة ٣٨٤ هـ/

٩٩٤ م . ويعتبر هذا الطبيب ابرز الجراحين في المشرق الاسلامي ، واول من علل اندفاع الجنين في الولادة الى تقلص عضلات الرحم وبعد وفاة المجوسي بما لا يزيد على العشرين سنة برز اشهر من كتب في الطب العربي ، واعظم فلاسفتهم ، ذلك هو أبو علي الحسين بن علي بن سينا المتوفى ٤٢٦ هـ / ١٠٣٧ م صاحب كتاب (القانون في الطب) الذي هو اشهر كتب الطب العربي قاطبة بين الاسلام وبين الاوربيين على السواء . وبالرغم من ان ابن سينا كان طبيبا اكثر مما كان جراحا ، الا انه مع ذلك كتب في العلوم الجراحية ما يشبع رغبة كل من يريد ان يتعلم هذه الصنعة . وفي الجزء الثاني من هذا الكتاب فصول في تشريح الاعضاء الانثوية وفسلجتها ما لم يلم بها كتاب الحاوى للرازي . كما فيه فصول في خلق الجنين ورعاية الحامل . ويؤكد ابن سينا في هذا الباب على فائدة الرياضة المعتدلة للحامل ، وحاجتها الى الاطعمة المغذية ولزوم تجنب الحمامات الحارة . وفي القانون ايضا فصول في اختلاطات الحبل ، ومعالجة الاسقاط ، وطرائق توليد الماخضات وانواع الولادات العسرة واسبابها ، ورعاية النفساء ومداراتها . كذلك فيه معلومات وافية عن امراض الرحم كالشقاق (تمزق عنق الرحم) ، والعفل ، وشذوذ الطمث ، والعقر

(العقم) . وربما كان ابن سينا اول من اشار الى الاورام الليفية في الرحم ، او على الاقل اكثر من استوعب فهم طبيعتها وموقعها في الرحم وتأثيرها عليه ، فشبهها بالمسامير واطلق عليها اسم (مسامير الرحم) .

وظهر بعد منتصف القرن الخامس الهجري، في الطرف الغربي من الاقطار الاسلامية ، في مدينة الزهراء بالاندلس كبير جراحى العرب ابو القاسم خلف الزهراوي المتوفى في حوالي سنة ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦م ، ونشر كتابه الشهير (التصريف لمن عجز عن التأليف) وادخل فيه معلومات في الامراض النسائية والتوليد ما يعتبر ثورة في افكار العرب الطبية ومؤلفاتهم . والزهراوي اول من فكر بتوليد الاجنة المتعسرة بطريقة السحب على رؤوسها بآلة حديدية هي التي طورت من قبل الاوربيين بعد ما يزيد على الثلاثة قرون ليكون منها ما يعرف اليوم بملقط التوليد . وفي كتاب التصريف وصف علمي متكامل لعملية رفع حصى المثانة عن طريق المهبل ، واستعمال القثاطير لتفريغ المثانة ، والنواظير للكشف على المهبل ، والكى لعلاج التهابات عنق الرحم وغير هذه كثير من الاعمال الجراحية المبتكرة.

ان الجراحة النسائية وجراحة التوليد عند العرب كانت حتى اواخر القرن الخامس الهجري/ صدر الثاني عشر الميلادي تحقق اكثر مستلزمات التوليد المهبلي . اذ كانت عمليات السحب على الجنين باليد او بالادوات الجراحية ، وتدويره او تقطيعه من العمليات الدارجة . على ان اكثرها كانت تستطب لصالح الأم ، والكثير منها تنتهي بهلاك الجنين أو قتله تعمدا لاقتضاء الظرف الطبي. أما عمليات فتح البطن فلم تكن معروفة الى ذلك التاريخ ، في أي مكان في العالم .

وصول الطب العربي الى اوروبا

لم تكن في القرون ما بين السابع والرابع عشر الميلادي حضارة في العالم غير الحضارة العربية ، لهذا حصرنا الكلام في الامراض النسائية والتوليد على الطب العربي في تلك القرون . وفي القرن الحادي عشر الميلادي بدأ الفكر العربي في الركود ، ثم النضوب في البحث العلمي والتأليف . وتوالت على العرب بعد ذلك النكبات في المغرب الاندلسي والمشرق ، كان افجعها واعظمها جميعا سقوط الخلافة الاسلامية في بغداد سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٠ م بقوات هولاكو المغولي ، فاصاب الفكر العربي وعلومه ما اصاب المدن والارواح من تخريب وافناء . وصار العراق غنيمة مزقت اوصالها غزوات الفاتحين ونزوات الحكام من الفرس والترك وساد فيها الجهل والظلم ومساوىء الاخلاق . وطبيعي ان لا تبرز في هذه الحقبة المظلمة اخبار الطب والاطباء وان تختفي آثار المخطوطة والمروية . ولابد وان الامراض النسائية كانت حينئذ في ادنى

المستويات العلميـــة والتطبيقية . وسوف نتابــع الكلام عن هذه الحالة في العراق بعد ان نسوق لمحة عما حدث في اوروبا اللاتينية ابان تدهــور الدول الاسلامية في المغرب والمشرق .

ان الاتصالات العابرة بين عرب طليطلة وقرطبة في اسبانيا ودول اوروبا قد كشفت لهذه الدول ما عند العرب من مدنية وحضارة ، وعلى مدى جهل انفسهم في العلوم والمعــارف التي كان العـــرب يتمتعون بها . فلما سقطت الدويــلات العربية في اسبانيا بيد الاسبان وصاروا هم اولو الامر عــلى تلك البلاد ، بدأوا يترجمون كتب العرب الى لغاتهم المحلية وصارت كتب الرازي والمجوسي وابن سينا والزهراوي بلغتها الجديدة هي الكتب المقررة في تدريس العلوم الطبية في فرنسا وانكلترا والمانيــا وايطاليا ، وتخرج على تلك الكتب اكابر اطباء تلك الاقطار الاوروبية .

على ان اوروبا التي وصلتها العلوم العربية لم تدرك بنفس الوقت الفوائد الجمة من تطبيــق تلك العلوم ، وخصوصا في طب التوليد والامراض النسائية . وبقــى هــذا الاختصاص فيها تحت سيطرة المشعوذين والمحافظين زمنا طويلا مما كلفهم الكثير من الخسائر في حياة الامهات والاطفال .

وحين حاول (فرت) الالماني عام ١٥٢٢ مشاهدة خطوات الولادة ليعرف حقيقة ما يتم في هذه الفعالية الجسمانية ، لم يجد بدا تجاه المتزمتين لافكارهم التي يقيدها الجهل الا ان يتخفى بثياب النساء ويتسلل الى حجرة الماخض . ولما انكشف أمره غضب عليه الاهل ، وثارت عليه الدهماء ، وحاكمته كما يحلو لها ونفذت به حكم الاعدام حرقا(٥٧) . اما (ولكبى) فقد نجح بعد محاولات متكررة في مشاهدة ما يحدث اثناء ولادة الطفل حين اختبأ في ركن مظلم بحجرة الماخض وشاهد ابنته القابلة المضطربة تستقبل بيدها المرتجفتين راس الجنين وهو ينقذف من رحم الأم الى هذه الدنيا(٥٨) .

عمليتا الملقط والقيصرية(٥٩)

ظهرت في اوروبا فيما بين القرن السادس عشر والسابع عشر عمليتان لتوليد المواخض ، لا تزالان تحتفظان بمركزهما الرفيع في الطب الجراحي هما عملية الملقط والعملية القيصرية . انجزت العملية الاولى عن طريق المهبل وانجزت العملية الثانية عن طريق البطن . وفي تأريخ هذه العملية الاخيرة معلومات متضاربة تجعلها معروفة في الطب قبل اكتشاف عملية الملقط بعدة قرون . ولا يصدق

ان العملية القيصرية قد وسمت بهذا الاسم لان (قيصر) يوليوس امبراطور روما (١٠١ ـ ٤٤ ق. م) قد ولد بهذه العملية . اذ لا يعقل ان تعيش الأم والطفل بهذه العملية في ذلك العهد السحيق . وقيل ان اول من اهتدى الى توليد الماخض عن طريق البطن هو راعي خنازير سويسري ـ الماني له معلومات وممارسة في البيطرة لا في الطب ، وانه اجراها على زوجته بعد ان فشلت القابلة وفشل كل من الحلاق والكاهن في توليدها . وكان ذلك في تمام القرن الخامس عشر . والغريب ان يذكر ان زوجة ذلك الراعي التي اجريت عليها العملية قد عاشت ، وانها ولدت بعد ذلك طفلين عن طريق المهبل ، والمقطع الاخير من الخبر يضعف من حقيقة واقعية العملية . وروى ان المولد الفرنسي الشهير (موريسو) اجرى هذه العملية في سنة ١٦٦٨ . وهي رواية لابد وان تكون صادقة لما نعرف عن هذا الجراح المولد من مرتبة عالية في هذا الاختصاص . وبقت العملية تحمل سمة الوفاة بنسبة ٨٥٪ حتى سنة ١٨٧٦ . وفي باريس حتى السنة المذكورة لم تنج مريضة واحدة بهذه العملية. وكان سبب الوفاة ، كما هو متوقع ، الالتهابات والنزف الدموي . واغرب ما في موضوع التوليد عن طريق البطن ان المواخض اللاتى كن يومئذ

يبقرن بطونهن بايديهن وهن بحالة لا تحمل من الألم ، او اللاتي يتعرضن اثناء الحبل الى الجروح البطنية بسبب الطوارىء والاحداث ، فيولد الطفل عن طريق هذه الجروح وتكتب لهن السلامة ، اكثر من نظيراتهن اللاتي يخضعن الى عملية التوليد بفتح البطن . وبالرغم من التحسينات والتطويرات التي ادخلها كل من (سونكر) و (يورو) على العملية في سنة ١٨٨٢ ، فانها بقت من العمليات الخطرة . فكانت تمارس بندرة وبحذر شديد ، وعاد المولدون يمارسون عمليات تدوير الاجنة Version او تمزيقها ، أو ثقب جمجمتها التي كانوا معتادين على ممارستها في حالة تعسر الولادة بسبب ضيق عظام حوض الأم .

وجرب (بيك) في حوالي سنة ١٩١٢ العملية بالشق طوليا على قطعة الرحم السفلى لا العليا . وكانت هذه خطوة واسعة في تطوير العملية الى الاحسن وخففت كثيرا من اخطارها الجسيمة . اما أهم التحسينات التي ادخلت على العملية القيصرية فهي بالشق عرضيا على قطعة الرحم السفلى من قبل المولد الانكليزي (مونرو كير) في سنة ١٩٢٦ . ومن ذلك التأريخ صارت العملية القيصرية افضل الطرق لتخليص الامهات والاطفال من الموت في المخاض .

اما التوليد بالملقط فان التواريخ الموثقة تدل على ان التوليد بهذه الآلة قد سبق اكتشاف طريقة التوليد بالعملية القيصرية . واذا ادخلنا في هذا الحساب ملقط الزهراوي المزود بالمسامير لتثبيت هذه الآلة على رأس الجنين ، فان فكرة التوليد بالملقط قد سبقت التوليد بشق البطن باكثر من خمسة قرون .

يروى ان فرنسيا اسمه وليم جميرلن عبر القنال الانكليزي ودخل جزيرة بريطانيا في اواخر القرن السادس عشر او صدر السابع عشر . والمعلومات عن هذا الرجل فيما يخص كونه طبيبا او غير طبيب قليلة وغير واضحة . على انه من المؤكد كان ملما بما يحدث عند المرأة اثناء الولادة. واستعمل لهذه الغاية آلة حديدية تعتبر نواة ملقط التوليد الذي نعرفه اليوم . ويروى ان الرجل واولاده قد حفظوا استعمال الآلة المذكورة سرا مدى اربعة اجيال من أنسالهم . واصدق من هذه الرواية هو انهم لم يكتموا عن الناس وجود الالة ولكنهم لم يستعملوها الا على نسائهم ، وبقيت حصرا عليهم حتى آلت الى الحفيد الاصغر بيتر جمبرلن المتوفى سنة ١٦٢٦ . ويقال ان هذا الحفيد كان اول من حمل لقب (دكتور) من اعضاء العائلة . وكان اكثرهم ثقافة ... ونهاية قصة الملقط الولادي ان

احد أنجال جمبرلن ، ربما كان ابن الحفيد بيتر ، باع سر الملقط الى الجمعية الكيماوية الهولندية فتبناه اكثر المولدين في اوروبا وعلى رأسهم كبير مولدي فرنسا (موريسو) صاحب الطريقة المعروفة باسمه لتخليص الرأس في ولادة الجنين بالمقعدة .

ان آلة (الملقط الولادي) اعظم اداة اخترعت في الطب النسوي . وبالرغم من اكتشاف واختراع وسائل أخرى في التوليد الا ان اي واحدة منها لم تضارب الملقط ، ولم تأخذ مكانه العالي الذي يتربع عليه بحق . اما التطويرات والتحويرات التي ادخلت على ملقط جمبرلن فانها كانت عموما ضمن حدود الفكرة في ذلك الملقط ، والاختلاف فيها في هندمة الآلة لا في هندستها .

❋ ● ❋

دخل العالم القرن التاسع عشر وتفتحت له ابواب المعرفة بكل الاختصاصاتالعلمية . واكتشف الاطباء النسائيون كثيرا من اساليب المعالجات الجديدة بالادوية والعمليات . والحقيقة الثابتة ان الكثير من الاكتشافات الجراحية في القرن التاسع عشر كانت ثورة جامحة بالنسبة لما سبقها من العلوم ونواة لما اكتشف في القرن العشرين . ففي منتصف القرن التاسع عشر اكتشف (اوليفر وندل)

و (سمرويلز) طبيعـة حمى النفـاس واسبابها ، واستعمل جيمس سمسون البنج في حالة المخاض. كما تم بنجاح اجراء عملية ترميم الناسور المثانـي المهبلي على يد الجراح الامريكي (ماريون سمس)(٦٠) وكان هذا الناسور الى ذلك التأريخ من الامراض المعندة التي لا يرجى لها الشفاء باي علاج ، فيقتل المريضة بعد حياة تعيسة وعـذاب اليم . وكـان ماريون سمس متفانيا لانجاح عملية ترميم هــذا الناسور ، فكرس اكثر حياته للعمل والبحث في معرفة اسرار هذا المرض واكتشاف طريقة لعلاجه، وكان فشله المتكرر في محاولاته الكثيرة يزيده عنادا واصرارا على المضي قدما في تجربة عملياته عـلى الفتاة السوداء (اناركا) التي قيـل انها خضعت لاكثر من عشرة عمليات قبل ان تنجح عليها العملية الاخيرة ، فكانت اول عملية نارسور مهبلي مثانـي ناجحة في تأريخ الجراحة النسائيـة . ومبادىء ماريون سمس في اجراء هذه العملية هي نفسها ، دون تطوير ـ المعمول بها في الوقت الحاضر .

ان في قصة حياة ماريون سمس درسا بليغـا لمن يريد ان يخلد اسمه في تاريخ مهنته ، كما فيها احداث جانبيه يتلذذ لها قارىء تلك القصة . الا ان تلك الاحداث قد كلفت ماريون الكثير ، وحطمـت جانبا مهما من حياته الخاصة ، فقد اضطر ان يطلق

زوجته التي كانت دائمة الشكوى من التصاقه بمريضاته السود ، ومن عملياته التي كان يجريها عليهن في احد مرافق البيت .

وقرب نهاية القرن التاسع عشر لمع نجم الطبيب الالماني (الفريد هيكار) المتوفى سنة ١٩١٤(٦١) . ولهيكار اعمال ممتازة في جراحة المبيض والرحم والعجان . وتعليقات مبتكرة في التوليد . وتنسب اليه موسعات عنق الرحم المعروفة باسمه ، وعلامة الحبل المعروفة باسمه ايضا .

أما عملية رفع الرحم . فللغرابة انها لم تتبلور وتصل شكلها النهائي الا في منتصف القرن التاسع عشر . وكان الالمان اول من اجرى هذه العملية عن طريق المهبل . ونذكر للمتعة ان احد الجراحين الانكليز تعلم هذه الطريقة في المانيا ولما رجع الى وطنه في بريطانيا ودعا الى اجراء العملية ، عارضه الزملاء وسخفوا رأيه فيها . ولما اجراها على أحد مريضاته قدم الى محكمة نقابية بتهمة اذلاله لشخصية المرأة وتخريبه لجسم الانسان !

وفي حوالي منتصف القرن التاسع عشر ايضا (١٨٤٩) حاول سمسون توليد الماخض بالسحب على راس الجنين بقرص يفعل بجلدة راسه ما تفعله

الحجامة . ويروى ان فكرة التوليد بهذه الطريقة قد نبعت عند سمسون حينما كان في رياضته اليومية على شاطيء البحر ، حيث راى عرائس البحر يدفعن – عند المخاض – مؤخرتهن على الصخور اللزجة فتلتصق فراخها بالصخرة ثم تسقط على الارض بعد ان تنتفض بدخول الهواء الى رئاتها . فصنع سمسون قرصا تلتصق بالشفط على رأس الجنين وشد ما كان استغرابه عظيما حينما نجح بتوليد امرأة في المخاض بهذه الطريقة. الا ان آلة سمسون التي تولد الشفط في القرص كانت لضخامتها وثقلها غير عملية فاهملت ولم يبق لها ذكر الا عند الكلام في تأريخ الولادة والتوليد ، واخذت مكانها آلة مصنوعة على نفس المبدأ صممها (مالموسترم) السويدي سنة ١٩٥٦ .

وفي سنة ١٨٨٨ اخترعت آلة قياس ضغط الدم . فكانت أعظم ما حصل عليه المولدون لتشخيص الانسمام الحبلى الذي لم يكن يشخص الا بالظن والاحتمال قبل اختراع الآلة المذكورة . ومن الطريف ان يذكر ان من الاوائل الذين بحثوا في طبيعة ضغط الدم وتصميم آلة قياس درجته ، كان طبيبا يعمل في ادنبره باسم (محمد) ، ويعتقد انه ابن او حفيد احد المصريين الذين رافقوا نابليون

عند رجوعه الى فرنسا ، ووصل هو او ابنه طلبا للرزق او لسبب اخر الى ادنبره[٦٢] .

أما مكتشفات القرن العشرين في الامراض النسائية والتوليد فاكثرها ، كما في العلوم الاخرى، تعتمد على جذور كانت من اعمال اطباء ما قبل هذا القرن . ونذكر من المبتكرات التي لم تعرف قبل هذا التأريخ ، اكتشاف العامل الفردي (Rh) في حوالي سنة ١٩٤١ من قبل شتاينر ووانير ، وتبديل دم الجنين بدم يقوم حياته وهو في داخل الرحم في حوالي سنة ١٩٦٤ . وعملية ربط عنق الرحم في حالة الاجهاضات المتكررة التي صممها الطبيب الهندي (شرود كار) في سنة ١٩٥٨ . والغريب ان المبدأ في هذه العملية يعتمد على اسس ميكانيكية لا فسلجية ، وان الذي ابتكرها طبيب من الشرق الموسوم بالخيال والروحانيات لا بالتكنيكيات وفعل العتلات ، وبذلك سبق ذلك الطبيب الشرقي الاطباء الامريكان وامثالهم المعروفين بالعقلية العملية وتصنيع العجلات . ورغم اننا لا نعرف كثيرا عن فعل هذه العملية في منع الاجهاض المتكرر الا انها ، اذا ما احسن استطبابها واختيرت المريضة المناسبة لها ، فانها دون شك افضل ما لدينا

من المعارف لمعالجة الحالات المرضية المذكورة واضمنها لتزويد العائلة بطفل بسعد حياتها .

وهناك اكتشافات اخرى كثيرة في الطب النسوي والولادي بهذا القرن اغلبها توابع وفروع لحقائق عرفت في ازمان سابقة فلا نعتبرها من حصيلة الفكر الحديث ، اما اكتشاف العقاقير في الكيمياء الطبية التي تعمل الاعاجيب لتخليص الانسان من الموت المحقق فهي من سمات هذا القرن ، وهي دون شك اكثر نفعا لخدمة البشرية من اكثر الاكتشافات والاختراعات الميكانيكية التي دخلت في مدنية هذا العصر . على ان العقاقير والكيمياء الطبية بجملتها تدخل في باب اعمال الكيميائيين والمختبريين اكثر مما تكون من اعمال الاطباء السريريين .

ان في تأريخ علم الامراض النسائية والتوليد كثير من الاحداث المتعة والابتكارات التي سجلها الفكر لصالح حضارة الانسان وسعادته . وهي احداث على بعدها في التأريخ صارت مصدرا لكثير من الاكتشافات والاختراعات التي ظهرت في التأريخ الحديث . واحداث الطب واخباره من الكثرة والتفصيل ما لا يكفي لها هذا الكتيب الصغير . ومن لا يعرف تاريخ مهنته فانه لا يدرك المتعة العظيمة التي تحملها ممارسة المهنة .

الطب النسوي في العراق
اثناء الحكم العثماني

اثر سقوط بغداد بقيادة هولاكو في سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م بقى المغول يحكمون البلاد حتى سنة ٨١٣هـ/١٤١٠م ثم تناوب بعدهم على الحكم الفرس والاتراك حتى سنة ١٠٤٣ هـ/١٦٣٣ م . ولا شك في ان العلماء في تلك الاحوال غير المستقرة لم يجدوا الجو الملائم للعمل في اختصاصاتهم فاصاب الفكر اضطراب وخمول وتدهور ، وربما كان نصيب الاطباء النسائيين بصفة خاصة اكثر مما أصاب غيرهم من رجال الفكر والعمل .

وبعد ان استقر حكم العراق للاتراك ظلت هذه الاقوام سادة البلاد حتى غلبهم الانكليز سنة ١٩١٧ وبذا بدأ حكم الانكليز للبلاد ، ودام حتى تشكيل الملكية فيها سنة ١٩٢١ . وهكذا نصل الان الى اخبار الطب النسوي في العراق الحديث الذي سنعتبره يمتد من بداية الحكم الملكي في التاريخ الذي ذكرناه الى انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ . وهي حقبة ذات طابع تاريخي وسياسي

وحضاري خاص تختلف في وجوه كثيرة عما سبقها وما لحقها من الاحقاب . وهي ايضا لم يسجل الكتاب احداثها الطبية . ومن الضروري تثبيتها قبل ان تطمس معالمها بالنسيان ويختفى من شهد أحداثها من المرضى والاطباء .

وللالمام بتمام الموضوعالذي نخوضه في الحقبة المذكورة ، منالمفيد والافضل ان نتطرق الى الخلفية القريبة التي سبقت الحكم الوطني في فجر العشرينات ، اذ ان الطب السائد في تلك الحقبة لم يكن من صنع الحكومة الوطنية ولا من مستوردات جيش الاحتلال الى البلاد ، بل كان امتدادا للطب في الحكم العثماني بالاضافة الى الطب المحلي الذي كان يمارسه منتحلو المهنة من العراقيين او الدخلاء الفرس ، بقدر من الثقة والاطمئنان .

لقد كان الطب العراقي في العهد العثماني في ختام القرن التاسع عشر وحتى قبيل الحرب العالمية الثانية بدائيا يلعب أدواره الدجالون والحلاقون ، كما كانت النساء بارعات في صنع السموم وممارسة الطب السحري وطب العيون . اما الاطباء الفنيون فكانوا جد قليلين ، اشتهر منهم (خدادا) الايراني صاحب البغلة الشعلاء ، و (يانقو) الارمني ، وارسطو اليوناني والحاج محسن القندهارى . ثم

تردد على السنة الناس ذكر طبيبين نمساويين وفدا الى بغداد هما (ادلر) و (لازار) . وكانا على مستوى طبي ارقى من مستويات الاطباء الاخرين[٦٣] وليس بين هذه الزمرة التي ذكرناها طبيب واحد اختص بالامراض النسائية والتوليد . على انه كان من المتوقع ان يستدعي الناس اولئك الاطباء لمعالجة امرأة متعسرة في المخاض فلا يعملون لها اكثر من مشاهدة مأساتها النهائية بالوفاة .

وفي حوالي سنة ١٨٧٢ م اسس الوالي مدحت باشا مستشفى على شاطيء دجلة بالكرخ ، مقابل وزارة الدفاع اليوم سماه (مستشفى الغرباء)[٦٤] وسوف نرى فيما يلي ان هذه المستشفى ستكون اول مستشفى ولادة في تاريخ العراق كله ، بل انها كانت اول مؤسسة صحية للاستشفاء استحدثت في العراق فيما بعد العصر العباسي . وكانت مستشفى الغرباء في اول نشأتها تستقبل المرضى المقطوعين ، والعجزة والمتسولين . كما كان فيها جناح خاص للمعتوهين واخر للعواهر[٦٥] . ولعدم توفر ايدي فنية من اطباء وممرضين بعد ان كثر عدد المرضى في المستشفى ، اغلقت ابوابها اخيرا ، وحولت عمارتها الى مدرسة لتدريس الصبيان[٦٦] وفي عام ١٨٩١ اسس الوالي نامق باشا بعض

الاكواخ لايواء المرضى ، على طريق الاعظمية فيما يلي باب المعظم[٦٧] ، خصص واحدة منها للامراض النسائية كبديل لمستشفى الغرباء الذي اغلق كما ذكرنا . وكانت ادارة هذه الاكواخ متواضعة تتكون من مدير الادارة وهو الطبيب التركي نظام الدين بك وبلال بك ، والجراح ذهني بك – وهو الجراح النسائي والمولد معا . والكحال الدكتور سامي سليمان (ابو الدكتور نجدة سليمان) أما الاعضاء غير الفنيين فيهمنا منهم واحد فقط هو الملا خضر الامامي الذي يصلى بمرضى المستشفى . وقد عين بعدئذ مساعدا في قسم التشريح بكلية الطب عند افتتاحها سنة ١٩٢٧ .

ولما تردت ابنية تلك الاكواخ اغلقت ابوابها واعيد فتح مستشفى الغرباء في الكرخ بادارة طبيب تركي هو محمد كاني بك ، الذي كان يعمل في الجراحة العامة في الدرجة الاولى ، وفي الجراحة النسائية والتوليد ايضا . ويروي من عرفه وزامله انه لم يكن يعرف اكثر من استخراج المشيمة المنحبسة في الرحم ، وعملية جرف الرحم ، واعطاء الكينا للنفاسى . وفي ابان ادارة دكتور كانى ادخلت المرضات الفرنسيات المترهبات الى بغداد[٦٨] . ولا يزال بعض من اخلافهن يعملن الى اليوم في

مستشفى سانت روفائيل بالكرادة الشرقية . وكان التمريض قبل ذلك من اعمال الرجال دون النساء.

وبالرغم من وجود المستشفى ، والاطباء الاتراك والنمساويين والايرانيين ، فان قطاعا كبيرا من أهالي بغداد ظلوا لا يؤمنون الا بطب (مال الله الكرخي ومحمد ابو فينة والحلاق اسطة عباس) . وبالاختصار لم يكن في بغداد في الحقبة التي سبقت دخول الانكليز الى العراق طب كما تفيد هذه الكلمة بل كان هناك ممارسة بهذه المهنة تعتمد على القياس والتقليد وما هو مدون في الكتب ، واستعمل فيه نقيع الحشائش والحجامة والفصد وقلع السن والكي وليس اكثر من ذلك . فلما دخل الانكليز بغداد رمموا مستشفى الغرباء واكملوا ما فيه من نواقص واعادوا تنظيمه وخصصوا اسرته لحالات الامراض النسائية والتوليد وحدها ، وجعلوه للفقراء فقط يدخلونه باستشهاد من مختار المحلة . ونصبوا عليه الجراح ليونيل ابراهام ليدير شؤونه(٦٩) . وهو نفس الطبيب الانكليزي الذي صار بعدئذ استاذ الجراحة في كلية طب بغداد . وكان اداريا حازما وطبيبا ذا خلق عال ومقدرة فائقة في العمليات الجراحية .

الطب النسوي في العراق الحديث

في بداية الحكم الملكي بالعـــراق استحدث الدكتور ابراهام بمستشفى الغرباء جناحا خاصا ، بتبرعات الاهلين ، لحالات ولادات الطبقة الغنيـة يدخلونه باجر يومي قدره عشر روبيات . وبذلـك صار في المستشفى ثلاثة وتسعون سريرا علـــى التنوع الاتي :

ردهة مجانية للولادات

ردهة مجانية للجراحة النسائية

ردهة مجانية للاطفال

غرفتان للولادات باجور

غرفتان للاطفال باجور

وانضم الى المستشفى اطباء من اصل تركي كمساعدين للدكتور ابراهـــام كان منهم كورديـــان الارمني ، وساموئيل اليهودي وفتح الله المارديني. والدكتور ابراهام اول من أجرى عملية التوليـــد بالملقط والعملية القيصرية في العراق .

وعند دخول القوات البريطانية الى العراق كانت للقوات التركية مستشفى في ابنية المجيدية ، فلما انسحبت هذه القوات من العراق احتل الانكليز الابنية المذكورة واسسوا فيها مستشفى عسكريا لقواتهم باسم (المستشفى البريطاني رقم ٢٣) . كما اسس الانكليز مستشفى اخر للقوات العسكرية الهندية باسم (المستشفى العسكري رقم ٦٢) في موقع كلية الهندسة اليوم . وكان يرأس هذه المستشفى الدكتور دنلوب . الذي صار بعدئذ استاذ فن العلاج بكلية الطب العراقية . وحول هذا المستشفى بعد ذلك الى مستشفى لاهالي بغداد باسم (المستشفى العام الجديد) واستقدم له هيئة انكليزية متكاملة كان منها الدكتور (كونيبر) طبيب مستشفى كايز الشهير في لندن ومؤلف كتاب (الطب الباطني) الذي يعرفه كل من تخرج من كلية طب بغداد . ومنهم ايضا الجراح (كامبل ماكى) ، وطبيب العيون (سبنس) الذي صار بعدئذ استاذ هذا الموضوع في كلية طب بغداد . والدكتور (نورمان) الذي صار استاذ الاشعة في كلية طب بغداد ايضا(٧٠) . ثم التحق بهذه المجموعة الدكتور صائب شوكة قبل ان يتخرج في مدرسة حيدر باشا الطبية باستانبول . وكان الدكتور صائب يمارس الجراحة كما كان يعالج بعض حالات التوليد

والامراض النسائية ولم يتفرغ للجراحة العامة وحدها الا بعد افتتاح كلية الطب سنة ١٩٢٧ .

وفي سنة ١٩٢٣ رات الحكومة ان توحد مستشفيات بغداد فأغلقت ابواب (المستشفى العام الجديد) كما اغلقت مستشفى الغرباء للولادة ، ونقلت مرضى المستشفيين وكادرهما الفني والاداري الى مستشفى المجيدية باسم المستشفى الملكي الذي كان يشغله مرضى القوات العسكرية البريطانية . ونقل هؤلاء المرضى الى مستشفى معسكر الهنيدي الواقع في جنوب بغداد . وحولت عمارة مستشفى الغرباء الى ديوان للمجلس التأسيسي ثم صارت دارا للمعلمين ، ثم اعيدت الى مستشفى باسم (مستشفى الكرخ الملكي) الذي بقى قائما حتى سنة ١٩٥٦ .

ان اخبار المستشفيات التي ذكرناها تأريخ لا يصح عزله عن تأريخ الامراض النسائية والولادة في العراق الحديث . اذ بالاضافة الى ترابط تلك المستشفيات بمستشفى الغرباء (الذي كان للامراض النسائية والولادية حصرا) ، وتبادل المواقع فيما بينهما ، فان المستشفيات الاخرى من البديهي ان تستقبل ، بين وقت واخر ، بعض الحالات المرضية والولادية المستعجلة . ولذلك تطرقنا الى ذكرها بايجاز .

وقبل افتتاح الكلية الطبية ببغداد في تشرين ١٩٢٧ اوفدت الحكومة العراقية كلا من المرحوم هاشم الوتري والمرحوم توفيق رشدي والدكتور صائب شوكة (متعنا الله بطول بقائه) ليشاهدوا اساليب التعليم السريري في جامعات بريطانيا ، ويتأهلوا لتبوء كراسي التدريس في الامراض الباطنية والجراحية والنسائية في كلية الطب بعد افتتاحها. فكان المفروض بهذا التنظيم ان يرجع الدكتور توفيق رشدي استاذا للامراض النسائية والتوليد الا ان هذا الرجل الطيب القلب ، حين قرأ في استمارة الانتماء الى الدورة التدريسية في كلية الطب بجامعة لندن فقرة استفهام عن (لون) طالب الانتماء الى الدورة ، غضب لوجود التفرقة بين الوان البشر ، ومزق الاستمارة وقفل راجعا على اول باخرة تغادر بريطانيا الى بيروت[٧١] .

❋ ● ❋

ذكرنا فيما تقدم التنظيم الاداري ، ومن عمل من الاطباء في الامراض النسائية والتوليد بالعراق فيما بين دخول الانكليز الى البلاد وتأسيس كلية الطب في بغداد . فما هو مستوى الطب النسوي عهدئذ ؟

لا جدال في ان الانكليز المحتلين قد ادخلوا الى العراق كثيرا من المعارف الطبية التي لم تكن مألوفة يومئذ في البلاد . فمارسوا عمليات التوليد والامراض النسائية وعالجوا الحالات المرضية بالطرق الحديثة . الا ان كل ذلك كان في نطاق محدود وعلى فئات خاصة من المواطنين . اذ لم يستطيعوا ان يجعلوا المرأة العراقية ذات التقاليد المتزمته بالحشمة ـ تخضع لمستلزمات الفحوص والعلاجات النسوية كما يجب . ونذكر هنا على سبيل المثال ، ان كثيرا من الاهالي البسطاء كانوا يعقدون القران للطبيب على المريضة قبيل اجراء الفحص النسوي عليها . فاذا تم الفحص طلبوا منه طلاقها ثلاثا .

كانت القابلة هي وحدها التي تعرف عن الحالة الانثوية عند الامهات . وكان المعلومات المرضية عنهن من الاسرار التي تعتمد عليها كرامة العائلة . وهي الوحيدة التي تستطيع ان تفحص على اعضائهن الانثوية ومعالجتها . وفي افضل الحالات كانت القابلة وسيطة بين المريضة والطبيب . فتطبق تعليماته في العلاج الذي يقترحه على ضوء المعلومات التي تنقلها اليه القابلة . وهذا الطبيب هو في الاصل غير اخصائي بهذا الموضوع ، ومعلوماته التطبيقية

فيه لا تزيد على معلومات القابلة المجربة ان لم تكن أقل منها . وكانت تشخص اكثر حالات الامراض الحادة الخطرة خطأ على انها اوجاع عارضة لا تلبث ان تختفي بجرعات من الترياق والخشخاش. وتطبق هذه الممارسة على وقعات الحبل خارج الرحم ، التي تشخص كقولنج ، وعلى الصرع النفاسي كشمرة ، وتمزق الرحم كتخمة المعدة . ولتكرار هذه المآسي صارت القابلة تشخص اكثر العلل وتعالجها بالمسكنات دون استشارة الطبيب. وتموت المريضة باي حال سواء عالجها الطبيب أم عالجتها القابلة . أما مريضة البيوت المترفهة ومن فيها بعض المثقفين ، فقد تستشير احد الاطباء الذين عرفوا بممارسة الحالات الولادية او النسائية فتحصل مبكرا على العلاج المفيد او العملية التي تنقذها من الموت . وعلى العموم فان القابلة ذات الممارسة الواسعة كانت مشهورة اكثر من بعض الاطباء الرجال المعروفين بممارسة التوليد والامراض النسائية . وكانت مكانات بيوت القوابل تعرف بين الناس كما تعرف اليوم مخافر الشرطة او دوائر البريد او المدارس . وكانت لكل عائلة قابلة . أي لكل قابلة عميلات من حريم البيوت . والقابلة على العموم كبيرة العمر ومتدينة وتستقبل الرجال كما تستقبل النساء . وتحصل من كليهما على التقدير

والاحترام ، فيدعونها (الجدة) ويقصدون بذلك جدة اطفالهم بالروح التي تنفخها في انوفهم عندما يندفعون من الرحم الى هذه الدنيا . فتحظى القابلة بكل ما تحظى به الجدة الحقيقية في دوحة الاسرة من امتيازات واكلات طيبة . ولها دوما من كل ذلك حصة الاسد .

وقابلة العائلة ترعى الحامل منذ بداية حملها . وتفحص عليها بين حين وحين . ومن المشكوك فيه اذا كانت تستطيع بهذا الفحص ان تعرف وضع الجنين غير الطبيعي او المضاعفات التي تخالط الحبل . وتتخذ الجدة احيانا موقف العارفة بجنس الجنين قبل ولادته بعد ان تبيت ليلة في دار الحامل . فاذا اصبحت راقبت اول من يدخل البيت من الناس ، فاذا كان رجلا قالت ان الحامل ستلد ولدا . واذا كان الداخل امرأة قالت انها ستلد بنتا . او ان القابلة تذر ملحا على رأس الحامل الساهية ، والافضل حين تكون الحامل نائمة . ثم تراقب اول حركة من حركات يديها . فاذا كانت تلك الحركة في منطقة الوجه قالت ان الحامل ستلد ولدا على اعتبار ان الحركة المذكورة تهدف الى تمسيد اللحية والشارب التي يختص بهما الرجال . اما اما اذا تحركت يد الحامل على

شعر رأسها قالت انها ستلد بنتا على اعتبار ان الحركة تشير الى الشعر الطويل الذي هو من صفات الاناث .

وتعرف القابلة بالمران ان تمزق (جيب المياه) علامة على قرب ولادة الجنين فتطلب من الماخض ان تقعد القرفصاء مع انحناءة خفيفة في جسمها الى أمام وهي تستند على الارض بالركبتين وراحتي اليدين . وتقعد القابلة خلف الماخض لتستقبل رأس الجنين من هذا الاتجاه لا من أمام . وهذا ما يفسر كثرة التمزقات في العجان ، في ذلك الزمان .

وكان من المشاهد المألوفة في حجرة الماخض ان تكون على أحد رفوف الحجرة قدحا مليئا بالماء، اغرقت فيه جذور نباتية سوداء اللون ، ذات شعب كثيرة تعرف باسم (شعفة العجوز) من طبيعتها انها اذا لامست الماء امتصته وانتفخت وكانت هذه الجذور لا تفارق جيب القابلة الماهرة ، مثلما لا يفارقه المقص وخيوط القطن المفتولة لتستعملهما في قطع الحبل السرى وربطه . وكانت القابلة تنهض بين وقت واخر وتنظر الى تلك الجذور التي في القدح وترجع الى الماخض وتقول لها وهي تتخذ هيئة العالمة بالامور : ان الرحم قد انفتح بدليل ان تلك الجذور قد تفتحت ايضا .

وتكرس القابلة اربعين يوما التالية على يوم الولادة لخدمة النفساء ووليدها . فتعلمها طريقة ارضاع الطفل ، وتقميطه ، وتنظيفه واستعمال السكين لتمسيد الرحم . والسكين وكذلك القرآن الكريم في نظر القابلة يجب ان يكونا دوما تحت وسادة النفساء ليخفرا الرحم ويمنعا دخول الارواح الشريرة الى جوفه . كما تقوم القابلة بتصبيغ غطاء سرير الطفل بالالوان لتدفع عنه العيون الحاسدة . ومن ابشع ما كانت تفعله القابلة في هذه الفترة وضع كتل من الملح الخام في داخل المهبل لكي يرجع الى سابق حجمه قبل الولادة . وغالبا ما تسبب هذه العملية من الالتهابات والتخريبات النسجية ما تترك المريضة تشكو من الآلام الحوضية والهبلية على مدى حياتها المقبلة .

وكان التطريح يومئذ من اختصاص القابلة . وتستعمل لهذا الغرض جذور نباتية تسمى (الستينية) وهي صنو لشعفة العجوز الا ان عيدانها وفروع جذورها اطول واكثر استقامة منها، فاذا لامست هذه العيدان الماء او أي شيء منضوح بالماء امتصت رطوبته وتضخمت . فكانت القابلة تملأ مهبل الحامل بقطع صغيرة . لا تحصى من جذور الستينية لتمتص سوائله فتتورم وتمطط جدرانه . ولا شك ان الالتهابات التي تسببها هذه

العملية تعمل على اسقاط الجنين اكثر مما تفعله الستينية بهذا الخصوص .

وفي الثلاثينات وحتى مطلع الاربعينات كان في دواليب صالة العمليات بالمستشفى الملكي عدد من الانابيب الزجاجية معبأة باعواد معقمة من حشائش بحرية ، بحجـوم متسلسلة تسمى (لامنيريا) . ويكسر الانبوب قبيل استعمال اللامنيريا في غرفة العمليات مثلما تكسر انابيب خيوط مصران القط (كات كت) التـي كانت في الاستعمال عهدئـذ . ويدفع عود اللامنيريا الى داخل عنق الرحم ، ويرفع بعد اربعة وعشرين ساعة فيكون حجمه حينئذ قد اصبح اكثر من ضعف حجمه قبـل الاستعمال ، وتستبدل بلامنيريا جديدة بحجم اكبر . وهكذاالى ان يتوسع عنق الرحم ويتقلص الرحم نفسه ويتم الاسقاط .

وذات يوم من سنة ١٩٤١ شاع بين الناس اسم دواء سريع المفعول يستعمل لاسقاط الحوامل وهو معجون دهني القوام معبأ في انبوبة معدنيـة كانبوبة معجون الاسنان . كان يدفع هـذا الدواء الى داخل الرحم فيسبب فيه التخريش ثم التقلص وبالتالي سقوط الجنين . ولما كثر استعمال هـذا

الدواء ، وكثرت مخلفاته السيئة حجزت مديرية الصحة العامة عليه في المخازن الحكومية ، فلا يزود الى المرضى الا بتوصية خطية من طبيبين لاجراء التطريح الشفائي .

وكانت التسممات الحبلية من مضاعفات الحبل الشائعة كما كانت الوفيات بالصرع النفاسي في العشرينات وأوائل الثلاثينات مروعة في عددها السنوي . وفي أوائل العشرينات عرضت الحكومة آلة ضغط الدم في احد دكاكين (باب السيف) بالكرخ فهرع الاطباء على دوابهم ليشاهدوا هذه الآلة التي لم يكن قد عرفوها من قبل . ومن هذا نقدر كم كان الاطباء يجهلون ضغط الدم كعلامة رئيسية من علامات الانسمام الحبلي !

وكم كانت الوفيات كثيرة بسبب ذلك الجهل!

وكان علاج الصرع النفاسي على طريقة (سترا كانوف) باستعمال المسكنات والمنومات . ولم يكن يستعمل الكلوروفوم باعتباره ساما ومخربا لحجيرات الكبد . وكان منظر المريضة بوجهها المحتقن وهي تتلوى دون وعي مرعبا ومؤلما . وكثيرا ما لا يستعيد هذا الوجه طبيعيته الا بالموت . ومن المنومات التي استعملت في هذه الحالة الحقن الشرجية بـ (الافرتين) . ثم أستعيض عنه بمحلول

(سلفات المغنزيوم) . وقد استعمل لاول مـــرة بزرقه في عضلة الالية . وكان المحلول من صنــع صيدلية المستشفى فسبب خراجا شمل اكثر من نصف الالية ، بالاضافة الى ان المريضة قد فارقت الحياة . ولما كثر استعمال هذا الدواء في اوروبا ، وتيسر الحصول على عبواته المعقمة عاد قســـم الولادة في المستشفى الملكي الى استعماله . وكانت النتائج في هذه المرة مسرة . وانخفض عدد الوفيات بالصرع النفاسى بدرجة ملحوظة بعد ان وصلت هيئة التمريض الانكليزية المكونة من اربع ممرضات كانت احداهن منقطعة لتمريض النفاسى فقط .

وكانت المراة حتى الثلاثينات مثل اكثر الناس لا تثق بالطب والاطباء ، ولا تلجأ الى المستشفيات الا اذا وصلت حالتها المرضية الى درجة الخطورة . ولهذا لم يكن مألوفا ان ترى في ردهة الولادة حالة ولادة طبيعية . والكثرة من المريضات اما بحـــالة الصرع النفاسى او ولادة بالملقط أو بالعمليـــة القيصرية . ولهذا السبب شـــاع بين الاهليين ان الماخض ما تكاد تضـــع قدميها على عتبـــة باب المستشفى الا ويتم توليدها باحدى العمليتـــين المذكورتين ، وهو اتهام مردود اذ كان اطباء الردهة يتجنبون اجراء عمليات التوليـــد ، وخصوصـــا

القيصرية منها اذا ما كان ذلك ممكنا، فتمنح الماخض وقتا يوصلها الى حافة الخطر قبل ان توضع على طاولة العمليات لفتح البطن . وكـان مـرد تردد الاطباء من العملية القيصرية هو التخوف من مخاطر التخدير يومذاك وفشل معالجة التهاب البريتوان اذا ما حصل هذا الاختلاط . ومن هذا نستطيع ان نقول ان التوليد كفن ، كان يومئذ له ساحة وسيعة في التطبيق ، وان هذه الساحة قد ضاقت اليوم وكاد يصبح التوليد علما اكثر مما هو فنا يعتمد على الفكر والتجربة ومهارة اليد ، لا على الآلات القاطعة .

الطب النسوي
بعد افتتاح كلية الطب[٧٢]

قبل افتتاح كلية الطب في بغداد ، كانت هناك ممارسة طبية يعتمد التشخيص فيها على العلامات والاعراض المرضية ، أما العلاج فيعتمد على ما هو متعارف عليه بين الاطباء دون تفسير أو تعليل علمي . وكان الاطباء الذين هم اعلى من ذلك المستوى قليلون جدا . وبعد افتتاح كلية الطب واكتمال الكادر التدريسي فيها كثر عدد الاطباء الجيدين في بغداد، وظهر الاختصاص في فروع الطب ، وصارت الممارسة تطبق على اسس علمية اكثر مما هي لمعالجة الاعراض والعلامات . وكانت الامراض النسائية والتوليد أول فروع الطب التي شملها هذا التقدم . ومع ذلك فقد كانت بعض طرق ممارسة هذا الاختصاص فيما بين افتتاح كلية الطب ونهاية الحرب العالمية الثانية شيئا يثير العجب بالنسبة لما وصل اليه الطب بعد الخمسينات كما سنرى فيما يلي .

كانت شعبة الامراض النسائية والتوليد بالمستشفى الملكي في الحقبة التي نتكلم عنها تشغل الردهة العاشرة والحادية عشرة من المستشفى الذكور . ولوجود علاقة تأريخية فيما بين الردهتين ونشوء الكلية الطبية فلنقل كلمة عن تلك العلاقة وكيفية استحداث الطبابة النسوية في المستشفى الملكي بعد ان كانت لهذه الطبابة مستشفى خاص في جانب الكرخ ببغداد هو مستشفى الغرباء الذي مر الكلام عنه .

ذكرنا ان مستشفى الغرباء قد اغلق سنة ١٩٢٣ ونقلت اسرته وملاحقه الفنية والادارية الى المستشفى الملكي . وقد خصصت الردهة رقم ٣ في هذه المستشفى لتلك الاسرة . فكان النصف المتقدم من الردهة للامراض النسائية ، والقسم الذي في عمق الردهة لحالات الولادة . اما غرفة التوليد فكانت غرفة متواضعة اعتيادية الى جانب مدخل الردهة . وفي هذه الاونة التحق الدكتور حيقارى طبيبا نسائيا بالشعبة . وفي تشرين الاول سنة ١٩٢٧ افتتحت كلية الطب ببغداد ، ولان بناياتها كانت ما تزال قيد التعمير فقد تم افتتاح الكلية في ردهتي (١٠) و (١١) وجعلت الردهة الاولى لتعليم موضوعي التشريح والبيالوجي ، والردهة الثانية لتدريس الكيمياء والفيزياء . اما مكتب

عميد الكلية الدكتور سندرسن وسكرتيره حسيب كلو فكانت في الغرفة الصغيرة الواقعة على يسار مدخل الردهة العاشرة . وبعد مرور سنتين من افتتاح كلية الطب اكتملت بناية الكلية المخصصة لها ، فنقلت الكلية التي كان عمرها سنة وبعض السنة ، الى عمارتها الجديدة التي تقابل عمارة المختبر المركزي القريب من معهد الاشعة . وحلت محل الكلية في الردهة العاشرة اسرة الولادة ، وفي الردهة الحادية عشر اسرة الامراض النسائية .

وفي بداية عام ١٩٣١ أي في بداية وصول طلاب كلية الطب لدراسة موضع الامراض النسائية والتوليد استقدمت الكلية لتدريس الموضوعين الاستاذ (هولمز) وهو بريطاني اسكتلندي ، له خبرة سابقة في التدريس . صغير الحجم ، وملتوى الاذنين بدرجة تجلب النظر . واستدعى الدكتور هولمز في عام ١٩٣٤ الى محطة (كي وان ــ K.1) وهناك اصطدمت الطائرة التي كانت تقله بارض المطار ، فحمل الى لندن محطم الجسم وهناك فارق الحياة . ويذكر ان الدكتور هولمز كان جراحا كفوا في الامراض النسائية والولادية . ومعلما جيدا لولا لكنته الاسكتلندية الصعبة على سمع الطلاب . واستقدم خلفا لهولمز الاستاذ (كندي) ، وهو

بريطاني ايضا . اسكتلندي الدم من الاب وفرنسي من الام . وكان في الشعبة بالاضافة الى رئيس القسم الدكتور جورج حيقارى . ولفضل كل من كندي وحيقاري على الاطباء النسائيين العراقيين، وعلاقتهما بالطب النسوي في صدر نشوئه في العراق لابد من كلمة عن كل منهما :

كان الدكتور كندى مربوع القامة ، ضخم الجسم ، أصلع الرأس ، قليل الكلام ، كثير الاطراق زاهدا في كماليات الحياة ، وترف الدنيا . وكان يجيد اللغة الفرنسية التي تعلمها من أمه . ويجيد اللاتينية التي تعلمها من ابيه الشماس في احدى كنائس (دندى) باسكتلندا . كما كان جراحا ماهرا ، ومعلما ممتازا ، يلقى دروسه ببطء وبلغة واضحة . وفي جرس نطقه رقة على ما فيه من رجولة . وله ولع خاص بأعمال الباثولوجي . فيتحايل بكل الطرق ليشرح المريضة التي تتوفى لكي يعرف سبب وفاتها ، والتغييرات المرضية في اعضائها . كما كان له ولع بالاعمال المختبرية . فكانت غرفته لا تخلو من اقفاص الارانب لفحص ادرار النساء عن الحبل بطريقة (فريدمان) . وكان هذا التعامل المختبري يومئذ من الاكتشافات الحديثة ، كما كان فريد مان (الطبيب ورئيس فرقة

الموسيقى الامريكية) صديقا لكندى ، جمعتهما ايام الصبى والدراسة وهواياتهما بالضرب على اصابع البيانو . وكندى هو الذي ادخل الراديوم الى العراق . اشترى منه مائة وخمسين غراما من فرنسا لمعالجة سرطانات الرحم . وكان يحفظه في غرفته داخل خزانة ضخمة مبطنة بالرصاص . وبقى الراديوم في حوزة كندي الى ان غادر العراق ، ثم نقل بعد ذلك الى معهد الاشعة .

ترك كندي العراق سنة ١٩٣٩ أثر اشاعة في المستشفى مفادها ان الراديوم الذي أشتراه كندى، من صنف رديء وغير فعال ، وانه أقل وزنا مما هو مسجل في قوائم الشراء ، فاغتاظ كندي من هذا الاتهام وطلب استقدام لجنة من معهد باستور بباريس لفحصه ووزنه . فلما رفضت الحكومة استقدام اللجنة رفع كندىاستقالته وغادر العراق.

أما الدكتور حيقارى فهو عراقي من (سعرد) بتركيا اليوم . درس الطب بمدارس الجوزويت ببيروت وتمرن بباريس وكان مولدا قديرا الا انه لم يكن كذلك في العمليات الجراحية . ومما يذكر عنه انه كان يمارس تمزيق جيب المياه عند المخاض بغية تسريع الولادة . وهي عملية غير مألوفة يومئذ،

ويعتبرها المولدون الانكليز خطرة . بينما هي اليوم من الحركات الرتيبة في تدبير الولادات .

أما الشخصية الثالثة في الشعبة فهي القابلة (زريفة) ميخائيل . وهي عانس بدينة من ربيبات راهبات سانت روفائيل . وكانت تجيد الفرنسية ولا تتكلم مع كندي الا بها . ثم هناك قابلة الليل (مزلى) اليهودية التي تحمل على قصبة أنفها الضخم عوينات صغيرة معدنية الاطار ، وهي بالرغم من عمرها المتعوب كثيرة الحركة ودؤوبة على اعمال التوليد ومقاومة السهر . ولها تجربة واسعة في القبالة . وتعابيرها ذات اصالة ، فتصف المشيمة المتقدمة في انها (ذات ملمس ناعس كالليفة ، ويكون رأس الجنين الى جانبها كطاسة الحمام) . وفي حالة سقوط الحبل السرى تقول مزلى باستحياء : (ان ملمس الحبل في هذه الحالة يشبه تكة اللباس، وبارد) . ومع ذلك فقد افاد منها طلاب كلية الطب كثيرا .

وكان من المألوف في التوليد ان تمطط القابلة العجان باصابعها الاربعة لتسهيل تخليص رأس الجنين من حلقة الفرج . ولم يكن قطع العجان من العمليات المألوفة في الولادة السرحة الا في زمن متأخر من سنين الاربعينات . كما لم يكن ليجرا

أحد ان يقطع العجان من جانبيه ، لان الشائع عهدئذ ان ذلك يسبب الـ Noma اي تآكل الانسجة الذائى . وكان يطبق ملقط التوليد في كثير من الحالات بلا تحذير على اساس ان آلام الطلق أشد ايجاعا من آلام تطبيق الملقط . أما كندى فكان في هذه العملية يستعمل التخدير القطني . كما كان يستعمل المورفين بحذر شديد فلا يزرقه في الدم بأي حال ، بل تحت الجلد أو في العضلة .

ولم يكن يجهز المورفين يومئذ بعبوات بل على شكل حبيبات صغيرة تذاب قبيل الاستعمال في ملعقة مليئة بماء يغلي على مشعل كحولي . ويعمل مثل ذلك في استعمال الاركوت والاتروبين .

وكان في الردهة ملقطان للتوليد . احدهما فرنسي هو ملقط (تارنيير) والثاني انكليزي هو ملقط (ملن مرى) ولما استورد كندى ملقط (بار ـ نفل) قبل اشهر معدودات من مغادرته العراق طغى استعمال هذا الملقط على الملقطين الاولين حتى اختفيا نهائيا . وهما الآن من الادوات الجراحية الاثرية .

وكانت تكثر في التوليد العسر عملية ثقب جمجمة راس الجنين ، وعملية قطع عظم الترقوة ، وعملية قطع عظمى العانة وكان كندي يضع المريضة

على طريقة (ولشر) في التوليد بالعملية الاخيرة . والعمليات الثلاثة ليس لها مكان في ممارسة التوليد بالوقت الحاضر .

أما العملية القيصرية فلم تكن تستطب الا لاسباب بحتة وصريحة ، كتضيقات عظام الحوض، او وجود الاورام الرحمية في المسلك الولادي . وفيما عدا ذلك كالمشيمة المتقدمة ، والاعتلان بالمقعدة في البكور ، والانسمام الحبلى فتعالج باساليب اخرى وعن طريق المهبل . وكان كيس (دي ريبز) جاهزا على الدوام في احد ادراج غرفة التوليد لتوسيع عنق الرحم الى حد يكفي لادخال أصابع المولد لتصل الى الجنين ، وتدويره والسحب على قدميه . كما كان يكثر استعمال ملقط (وليت) على فروة رأس الجنين . وكان من المناظر المألوفة في ردهة التوليد ربط ارجل الاجنة وملقط وليت والسحب عليهما بعتله تثبت في مؤخرة سرير المريضة .

ولو عرضت هذه الآلات ، وذكرت العمليات التي تستخدم فيها أمام اختصاصي الطب النسوي في هذا الزمان لما صدقوا ان مثل تلك الامور كانت في الاستعمال لاي غرض من اغراض الطب . فقد

اختفت حتى صور تلك الادوات من كتب الدراسة المعاصرة .

وكان يفتح الرحم في العملية القيصرية من قطعته العليا لا السفلى ، وتستعمل لخياطة هذه الفتحة خيوط (امعاء دودة القز) أو (سبيب ذيل الخيول) . والخيطان يجهزان بانابيب زجاجية معقمة من معامل شركة (ديفز وكيك) الانكليزية . وقد اختفت انواع تلك الخيوط في مطلع الخمسينات أو قبيل ذلك بقليل مثلما اختفت اعمال وحركات فنية كثيرة في مجال التوليد نذكر منها بصفة خاصة (تجربة الولادة) التي يستعمل فيها المورفين وست الحسن (انهياسيامس) . واختفت أيضا آلة قياس ابعاد عظام الحوض التي لم تكن تفارق يد كندى حين يعمل زيارته لمرضى الردهة في صباح كل يوم. كما لم تكن تفارق جيب ردائه الابيض سماعة (بنارد) للتسمع على ضربات قلب الجنين .

وكان التخدير القطني اكثر وسائل التخدير في الاستعمال بعمليات الامراض النسائية والتوليد، وكان الجراح هو الذي يخدر المريضة في هذه الحالة اذ لم يكن عهدئذ اختصاصي في التخدير بالمستشفى عموما . وفي حالات نادرة كانت تخدر المريضة بطريق الاستنشاق ، ويستعمل في هذه الطريقة

مزيج من الكلوروفورم الاثير بنســـبة ١ : ٤ . والوفيات بالطريقتين المذكورتين باى حال ، لم تكن قليلة .

وكان لزوما ان تقطر في عين الوليد محلـول نترات الفضة بنسبة واحد في المائة منعا لالتهابات المنظمة عند مرور وجهه من خلال المهبل . ويبدو ذلك مضحكا الا انه كان واقعيا .

كما كان لزاما ايضا ان تتناول النفساء فـي اليوم التالي للولادة جرعة كاملة من زيت الخروع. واذا ظهرت حمـى على النفســاء اعطبت حبـات (البرونتوسل) الاحمر دون الالتفات الى صـنف الحمى ونوع مكروبها . واذا طالت الحمى اعطيت المريضة زرقـات (الاومناديـن) في العضـلة . والاومنادين من مستحضرات باير الالمانيـة كـان يعتقد انه عقار جم الفوائد . ولما اكتشف بعد اثنتي عشرة سنة من الاستعمال انه ليس افضـل من اي دواء مقوي اعتيادي ، توقفت معامل بايـر عن صنعه .

ومن الحالات المرضية النفاسية المألوفة حالة تورم مرعبة تصيب الرجل اليسرى على الاكثر . وقد تصيب الرجلين بالتتابع او في ان واحد ،

تسمى (فلاكمسيا ـ البا ـ دولنس) وسببها التهاب جدران الاوعية الوريدية في الرجل والحوض وتخثر الدم في تلك الاوعية . كانت تعالج بمرهم الاكثيول وحبات البرونتوسل . ولم يكن يعرف يومئذ شيء عن ادوية مانعات التخثر . فيستعمل لتلك الحالات نوع خاص من (العلق) ، لونه اسود ضارب الى الخضرة كان يتاجر به يهودي ملتح في دكان بالشورجة ، اسمه (معتوق) . وكان هذا اليهودي دائم التردد على ردهة التوليد بالمستشفى الملكي لكثرة الحاجة الى حيواناته لمعالجة الحالات المذكورة مثلما يتردد اليوم بائعو الدم على المستشفيات الاهلية . كذلك كانت تكثر في الردهة حالات نفاسية يطلق عليها (P.P.P.) اي Plaster of Paris Pelvis

يكون الحوض فيها ممتلئا بالانتاجات الالتهابية ، واخيرا بما يسمى (الخراج الحوضي) . وكان يعالج هذا الخراج بفتح جوف الحوض عن طريق المهبل بالة خاصة مصممة بذكاء اسمها (كرستوفر ـ مارتن) ، هي الان من اثريات الالات الجراحية الموجودة في مدينة الطب .

وكانت حبات البرونتوسل الاحمر الدواء الوحيد لحالات النفاس المرضية بانواعها . وبقيت تلك الحبات في الاستعمال حتى سنة ١٩٤٣ .

وذات يوم من تلك السنة دخل الدكتور سندرس الغرفة رقم (٧) بدار التمريض الخاص بالمستشفى الملكي حيث ترقد فيها سيدة مصابة بحمى النفاس ، ووراء سندرس جندي بريطاني يحمل صندوقا ابيض رسم على غطائه علامة الصليب بدهن احمر . ووضع الجندي الصندوق على الطاولة ثم رفع غطاءه فاذا هو ملىء بكسر الثلج . وغمس اصابعه فيه ليلتقط منها عبوة ملفوفة بالشاش . والتفت الدكتور سندرس الى الطبيب المقيم وقال له باهتمام : ان هذا الدواء اكتشاف جديد في الطب اسمه (البنسلين) !

ومن الغرائب ان نذكر ان الحالات النفاسية كانت تعتبر من الامراض المعدية ، وعلى الطبيب المعالج ان يرفع عنها اخبارا الى السلطات الصحية واغرب من ذلك ان تلك المريضة لم تكن تحجر او تعزل عن المريضات الاخريات في الردهة . كما ان السلطات الصحية لاتفعل اكثر من أدخال كتاب الاخبار المذكور في قيد الكتب الواردة الى دائرتها .

اما حالات الامراض النسائية فتبرز فيها كثرة (النواسير المهبلية) . وكان كندي يجيد ترميمها . وله الات خاصة من تصميمه للاستعمال في عملياتها . وكانت تبقى المريضة بالناسور أياما

واسابيع في الردهة لتحسين حالتها العامة ورفع المواد البولية الكلسية التي تتراكم على جدران المهبل والفرج . وهذه الصورة السريرية لم تعد تشاهد في الممارسة منذ عشرات السنين . كما اختفت صورة النواسير الواسعة التي تسقط من خلالها المثانة الى فجوة المهبل . وهي حالة من درجات النواسير التي لا تصلح لها عملية الترميم النمطية الاعتيادية . فتعالج بتحويل مجرى الحالبين الى القولون النازل . ولما تكررت وفيات المرضى بهذه العملية بسبب الغانغرينا الغازية استعيض عن هذه العملية بعملية يغلق بها المهبل نهائيا ، ويفتح اتصال بينه وبين معى الحوض . فتتغوط المريضة وتتبول وتحيض من مخرج واحد هو فتحة المقعد . والغريب ان الحيض كان ينقطع عن الظهور بعد بضعة اشهر من هذه العملية . وعملية غلق المهبل كما هو واضح قاسية على المرأة ، ولا انسانية . وكثيرا ما تعود المريضة الى المستشفى وتطلب ارجاع طريق التبول مفضلة ابقاء الناسور على غلق المهبل . او ان المريضة تعود الى المستشفى بشكوى جديدة هي شلل عاصرة الشرج وسلس الغائط غير الارادي . وهي شكوى لا يصلحها علاج ، واسوأ تأثيرا على المريضة من شكواها الاولى .

ومن المناظر الغريبة التي كانت تشـاهد في ردهة الامراض النسائية هو (قدر) الحليب على الفرن النفطي الصغير . كان يستعمل هذا الحليب بزرقات في عضلة الية المريضة المصـابة بالتهابات الحوض المزمنة . وتكون الخراج في موقع هـذه الزرقات ليس قليل الحدوث . وكان يعتقد ان هذا الخراج مفيد لعلاج الالتهابات الحوضية ، وفلسفة هذا الاعتقاد هو ان الخراج المستحدث يثـير في المريضة قوة شفائية للامراض الالتهابية المزمنة ، اضافة الى انه يلهي - ولو الى حين - المريضة عن شكواها من الام الالتهابات القديمة ! واذا استطبب لعلاج تلك الحالات عملية جراحية فان الالتصاقات فيما بين اعضاء الحوض وانسجته من السعه والعمق ما كانت تسبب للجراح المشاكل والمضاعفات التي لاتخل من خطورة على المريضة. وكانت ممارسة هذا النوع من العمليات خير مجال لتعلم علم جراحة الحوض ومن يحصل على مثل تلك التجارب فقد يوتيه الحظ فرصة ثمينة لاتقان هذا الاختصاص . اما حالات الالتهابات الحادة في النفيريـن فكانت تعالج بلطخ جلدة البطن بمرهم الاكثيول الداكن اللون وبحبات البرونتوسل الاحمر . وكثيرا ماتتحول هذه الحالات رغم العلاج ، الى الالتهاب الصديدي . ومنظـر النفيرين في هذه الحالة لايزال يبرز في ذاكرة مـن

مارس العمليات على تلك الامراض الغريبة . كان الانبوبان يتورمان ويلتفان على نفسيهما وفيما بينهما ومحشوران بضيق في جوف الحوض . ولم يكن هناك مفر لمعالجة هذه الحالة الا بأستئصال النفيرين بعملية لا تمر دائما بسلام . لقد اختفت هذه الصورة السريرية المرضية من مرضى اليوم ولم يبق منها الا بعض الصور في الكتب الاثرية. فما اعجبما فعلت ادوية مضادات الحياة لعافية الانسان ! واختفت ايضا حالات سقوط الرحم الكلي، فيتدلى منسدلا من خلال حلقة الفرج الى مابين فخذي المريضة ، ويتورم وتتاكل جلدته وتتقيح ويختنق فلا يمكن دفعه الى داخل الحوض الا بعد معالجات خاصة قد لاتكون ناجحة الا على حساب حياة المريضة ، أو جنسيتها على الاقل .

وفي مجال ما بعد العميات الجراحية كانت تكثر احداث تمدد المعدة الحاد ، وشلل الامعاء . وهي مضاعفات لا يعرف لها يومئذ علاج يخلص المريضة من الموت .

فتعالج حالاتها بحقن الشرج بمحلول (التربنتاين) . أما القيء بعد العمليات فيعالج

بمحلول اليود بالماء . كما كان من الاعمال الرتيبة في صباح كل يوم رفع رفائر جروح العمليات للاطلاع على سير التامها ، ثم صبغها بمحلول اليود والكحول او المركري كروم الاحمر ، ولم يكن يعرف يومئذ ان هذه الاجراآت تضر اكثر مما تفيد .

لقد اختفت صور مرضية ومواقف طبية كثيرة بانتهاء الحرب العالمية الثانية ، فقد غيرت الكيمياء الطبية كثيرا من وجوه العلاج . وصارت مضادات الحياة تعمل الاعاجيب ، وصار الاطباء يكسبون العديد من المواقف التي كانوا يخسرونها في الحالات المرضية المعندة والخطرة . وقد دفعت بعض المواقف التي مر بها الطبيب الحربي ، بسبب ضيق الوقت ، او ازدحام ضحايا الكوارث الى اتخاذ اساليب جديدة في معالجة المرضى يتوفر فيها اختصار في الوقت وفي الادوية وخطوات التداوي . فاكتشف بدهشة ان كثيرا من الحركات العلاجية التي كان يمارسها قبلا ، لا ضرورة لها ، وان بعضها كان يسبب كثيرا من الاختلاطات المرضية . وهكذا تقدم الطب في السنوات الخمس من الحرب ما لم

يتقدمه بقرن كامل قبل ذلك . وكان لجراحة النسائية نصيب وافر من ذلك التقدم . وتبدو اليوم الحالات المرضية التي ذكرتها ، وطرائق تداويها غريبة جدا وبعضها يكاد لايصدق . ولقد مرت تلك السنين عجالا وكأننا لا نذكر متى دخلناها ولا متى برحناها . وقد يجيء يوم قابل يبدو فيه طب هذا العصر لمن يخلفنا ، مايثير الغرابة والتعجب للتعقيدات التي لاتزال نمارسها فيه وسوء التطبيق في قواعده الاصيلة .

المصـــادر والهوامش

(١) Jour. Gyne. & Obst. Brit. Emp. 1936-218.

(٢) نشرة شركة سينا عن الهورمونات النسائية سنة ١٩٥٢ .

(٣) William - Devils Doctors & Drugs (Paper Cover) N. Y.

(٤) Crussen - Hist. MEDC. (4th. ED.) 1929. P. 54.

(٥) اتصال شخصي بالاستاذ طه باقر .

(٦) Sigerist - A Hist. MEDC. (Oxford. Vol. (1) P. 429.

(٧) المصدر السابق .

(٨) رنية لامات ـ التشخيص في الطب الاكدي ـ ترجمــة

(٩) المصدر السابق ، ص ١٤١ .
عبداللطيف البدري ، ص ١٣٧ ـ ١٤١ .

(١٠) اتصال شخصي بالاستاذ طه باقر .

(١١) Green Armytag - Tropical Gyneco. Calcutta 1929. P. 25.

(١٢) شاهنامة الفردوسي ـ ترجمة عبدالوهاب عزام ، ج٢ .

(١٣) Clendening - Sourse. MED. History. N. Y. P. 1.

(١٤) ابن ابى أصيبعة ـ العيون . ص ٤٧٤ .

(١٥) فيثاغورس ـ عالم يوناني من مواليد صور اوساموس . رحل الى مصر واتصل بعلماء منفيس ثم هجرها الى بابل وفيها تعلم الحساب والموسيقى واخيرا رجع الى كروتون في جنوب ايطاليا وفيها اسس مدرسته الشهيرة باسمه .

(١٦) Sigerist - Hist. MEDC. Vol. 2. P. 231.

(١٧) المصدر السابق .

(١٨) Singer - Underwood, Oxford. P. 31.

(١٩) Sigerist - Hist. MEDC Vol. 2. P. 232.

(٢٠) المصدر السابق .

(٢١) Hippogrates - Development of fetus,
Trans - Ellinger - N. Y. P. 75.

(٢٢) المصدر السابق ، ص ٧٢ .

(٢٣) الرازي ـ الحاوي في الطب ، ج١٩ ، ص ١٤٥ .

(٢٤) Hippocrates - Develop, fetus. P. 109.

(٢٥) الرازي ـ الحاوي في الطب ، ج٩ ، ص ٩٧ .

(٢٦) المصدر السابق ، ج٩ ، ص ٩٢ .

(٢٧) Hippocrates - Develop. fetus. P. 128.

(٢٨) عريب بن سعيد القرطبي ـ خلق الجنين والحبالى والمولودين ، الجزائر ، ١٩٥٩ ، ص ٣٧ ـ ٤٠ .

(٢٩) سارتون ـ تاريخ العلم ، ج٤ ، ص ٢٤٤ .

(٣٠) جالينوس ـ اسمه الاول كلوديوس ، يوناني الاصل من مدينة برجامون باسيا الصغرى . تعلم اوليات الطب في مسقط راسه واتمه في الاسكندرية . اشهر اعماله كانت في التعليق على افكار ابقراط وكتبه ، وفي التشريح وقد نقل حنين بن اسحاق العبادى اكثر كتبه الى اللغة العربية اثناء حكم الخليفة المأمون . توفى سنة ٢٠١ هـ.

(٣١) ابن ابي أصيبعة ـ العيون . ص ١٢٣ .

(٣٢) لسان الحمل ـ عشب بري من فصيلة الحمليات ، منه الحولى ومنه المعمر.ينفع السل والربو ونفث الدم وامراض الطحال والكلى وحرقة التبول (الموسوعة في علوم الطبيعة ادوار غالب . ج٢ ، ص ٤١٨) .

(٣٣) الرازي ـ الحاوي في الطب ، ج٩ ، ص ٨٦ .

(٣٤) ابن أبي أصيبعة ـ العيون ، ص ٣٣ .

(٣٥) Crossen - Hist. MED. P. 239 - 240

(٣٦) الرازي ـ الحاوي في الطب ، ج٩ ، ص ٦٠ ـ ٦١ .

(٣٧) المصدر السابق ، ١٨٤ .

(٣٨) عبدالملك بن ابجر الكناني ـ من اطباء الاسكندرية حين دخلتها قوات عمرو بن العاص سنة ٢٢ هـ/٦٤٢ م . يذكر انه كان صديق الامير عمر بن عبدالعزيز حين كان مع

ابيه الوالى على مصر ، فلما ارتقى الامير الى الخلافة استقدمه الى انطاكيا ليمارس الطب فيها ويدرسه .

(٣٩) جواد علي ـ العرب قبل الاسلام ، ج٨ ، ص ٤٠٩ .

(٤٠) ابن الاخوة ـ معالم القربة في احكام الحسبة (كمبرج) ص ١٦٤ .

(٤١) الرازي ـ الحاوي في الطب ، ج٩ ، ص ١٣٤ .

(٤٢) ابن ربن الطبري ـ طبيب سرياني من طبرستان . قدم سامراء ونادم المتوكل العباسي المتوفى سنة ٨٦١ م . له كتاب فردوس الحكمة في الطب الذي يعتبر من اول الكتب الاسلوبية العربية في هذه المهنة .

(٤٣) الرازي ـ الحاوي في الطب ، ج٩ ، ص ٩٥ .

(٤٤) يوحنا بن ماسويه ـ طبيب نسطورى من مواليد جنديسابور . كان ابوه ماسويه يعمل في صيدلية البيمارستان في تلك المدينة فتعلم يوحنا الطب على اساتذة البيمارستان النسطوريين . ثم ارتحل الى بغداد والتحق بحاشية الخليفة المأمون وصار طبيبه الخاص ، ورئيسا لبيت الحكمة . من اشهر تلاميذه حنين بن اسحاق العبادي الذي خلفه على راسه بيت الحكمة . توفى ابن ماسويه سنة ٢٤٣ هـ/٨٥٧ م .

(٤٥) الرازي ـ الحاوي في الطب ، ج٩ ، ص ٤٦ ـ ٤٧ .

(٤٦) المصدر السابق ، ص ١٥١ .

(٤٧) الرازي ـ الحاوي في الطب ، ج ٩ ، ص ١٥٠ .

(٤٨) المصدر السابق ، ص ٨٣ .

(٤٩) عريب بن سعيد القرطبي ـ خلق الجنين ، ص ١٩

(٥٠) الرازي ـ الحاوي في الطب ، ج٩ ، ص ٨٤ ، ١٠٢ ، ١١٦ ، ١٢١ .

(٥١) المصدر السابق ، ص ٨٦ ، ٧٨ ، ٩٤ .

(٥٢) المصدر السابق ، ص ٩٨ ، ١٠٤ .

(٥٣) المصدر السابق ، ص ٥٥ .

(٥٤) المصدر السابق ، ص ٣٧ ـ ٣٨ .

(٥٥) المصدر السابق ، ص ٢٢ .

(٥٦) عريب بن سعيد القرطبي ـ خلق الجنين ص ٣٦ـ٣٧ .

(٥٧) مصطفى خالدي ـ الحمل والولادة . بيروت ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٥٨) المصدر السابق .

(٥٩) اقرأ عن عمليتي الملقط والقيصرية في :

(1) Williams Obstetrics, Amerind Co. P. 115-119. and 1163-1165.

(2) De Lee Obstetrics. Saunders P. 880 & 914-914.

(3) Marshal Cesarean Section. London. 1939.

(٦٠) Operative Gynecology - TE Linde 4th ed. P. 584-585.

(٦١) Hamiton Baily. London. 1944. P. 101-102.

(٦٢) عن محاضرة القاها استاذ الطب الباطني في جامعة ادنبرة في صيف سنة ١٩٥٥ .

(٦٣) الوتري وشابندر ـ تاريخ الطب في العراق . ص٥٧ـ٦٠ .

(٦٤) المصدر السابق ، ص ٥٤ .

(٦٥) المصدر السابق والصفحة .

(٦٦) المصدر السابق والصفحة .

(٦٧) المصدر السابق والصفحة .

(٦٨) المصدر السابق ، ص ٥٦ .

(٦٩) صائب شوكة ـ المعاهد الصحية في بغداد ، ص ١٩ .

(٧٠) المصدر السابق ، ص ٩ .

(٧١) عن الدكتور صائب شوكت ، المصدر السابق والصفحة.

(٧٢) معلومات وافية عن افتتاح كلية الطب ببغداد في كل من كتاب تاريخ الطب في العراق للدكتور الوتري والشابندر ، وتاريخ المعاهد الصحية في بغداد للدكتور صائب شوكت، والتعليم العالي في العراق لحسن الدجيلي .

صدر من الموسوعة الصغيرة

١ ـ العرب والحضارة الاوربية ، د . فيصل السامر .

٢ ـ فلسفة الفيزياء ، د . محمد عبداللطيف مطلب .

٣ ـ الحقيقة الاشتراكية لحزب البعث العربي الاشتراكي عزيز السيد جاسم .

٤ ـ قضايا المسرح المعاصر ، سامي خشبة .

٥ ـ الصناعات البتروكيمياوية ومستقبل النفط العربي . محمد ازهر السماك .

٦ ـ الثورة والديمقراطية ، صباح سلمان .

٧ ـ دانتي ومصادره العربية والاسلامية ، عبدالمطلب صالح .

٨ ـ الطب عند العرب ، د . عبداللطيف البدري .

٩ ـ انغولا .. الثورة وابعادها الافريقية ، حلمي شعراوي .

١٠ـ معالجات تخطيطية لظاهرة التحول الحضري ، د . حيدر كمونـة .

١١ـ مصادر الطاقة ، د . سلمان رشيد سلمان .

١٢ـ التـراث كمصـدر في نظريـة المعرفـة والابداع في الشعر العربي الحديث ، طراد الكبيسي .

١٣ـ التقدم العلمي والتكنولوجي ومضامينه الاجتماعية د . نوري جعفر .
١٤ـ الثقافة والتنظيمات الشعبية ، عبدالغني عبدالغفور .
١٥ـ العوامل المحفزة لنمو الدخل القومي ، د. كاظم حبيب
١٦ـ فن كتابة الاقصوصة ترجمة : كاظم سعد الدين .
١٧ـ الاعلام والاعلام المضاد ، صاحب حسين .
١٨ـ استثمار المواد الكيمياوية والعضوية الملوثة للبيئــة ، طارق شكر محمود .
١٩ـ مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية ، د . هاشم الطعــان .
٢٠ـ الانسان اخر المعلومات العلمية عنه ، ترجمة : كاميران قرهداغي .
٢١ـ الشعر في المدارس ترجمة : ياسين طه حافظ .
٢٢ـ من عصر البخار الى عصر الليزر ، د . اسامة نعمان .
٢٣ـ الاتصال والتغير الثقافي ، هادي نعمان الهيتي .
٢٤ـ المدخل الى الفكر الفلسفي عند العرب ، د . جعفر آل ياسين .
٢٥ـ الصهيونية ليست حركة قومية ، بديعة امين .
٢٦ـ الدفاع المدني الشعبي ، صالح مهدي عماش .
٢٧ـ النسبية من نيوتن الى انشتاين ، د. طالب ناهي الخفاجي
٢٨ـ فن التمثيل عند العرب ، د. محمد حسين الاعرجي .
٢٩ـ الموسيقى الالكترونية ، د . علي الشوك .

٣٠ـ دراسة في التخطيط الاقتصادي، د. يحيى غني النجار.

٣١ـ الروايةالعربية والحضارةالاوربية، شجاعمسلم العاني.

٣٢ـ نقد الفكر البرجوازي المعاصر، ترجمة : يوسف عبدالمسيح ثـروة .

٣٢ـ الطاقة وأفاقها المستقبلية ، د . عادل كمال جميل .

٣٤ـ فن الترجمة ، ترجمة . حياة شرارة .

٣٥ـ صورة الكون ، د . محمد عبداللطيف مطلب .

٣٦ـ مدارس النقد الادبي الفرنسي المعاصر . نهاد التكرلي .

٣٧ـ النهضة ، د . كمال مظهر احمد .

٣٨ـ الحرب النفسية ، د . فخري الدباغ .

٣٩ـ الانسان والبيئة ، ترجمة عصام عبداللطيف احمد .

٤٠ـ في علم التراث الشعبي ، لطفي الخوري .

٤١ـ مساهمة العـرب في علوم الحياة ، عادل محمـد حسين الشيخ علي .

٤٢ـ العنصرية الصهيونية ، د . عبدالوهاب المسيري .

٤٣ـ المصادر الاساسية للفنان التشكيلي المعاصر في العراق ، عادل كامل .

٤٤ـ سـايكولوجية الطفـل في مرحلة الروضـــة ، مدحـت عبدالرزاق عبدالنبي .

٤٥ـ لمحـات موجـزة من تاريخ نضـال الشـــعب العـراقي

صادق حسن السوداني .
٤٦- التكنولوجيا المعاصرة د . طه تايه ذياب ود . سامي مظلوم صالح .

٤٧- نظرية النظم . تاريخ وتطور . د . حاتم الضامن .

٤٨- الطفل هـذا الكائن المجيب ، د . ضـياء الدين ابو الحب .

٤٩- في المسرح الشعري ، عبدالستار جواد .

٥٠- الكيمياء عند العرب ، د . جابر الشكري .

٥١- نزعات انسانية في موسيقى بتهوفن ، غانم الدباغ .

٥٢- نظرات في علم الوراثة ، د . عبدالاله صادق .

٥٤- الاسطورة ، د . نبيلة ابراهيم .

٥٥- برج بابل ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا .

٥٦- التاريخ الاقتصادي للشرق الاوسط ، ترجمـة وتعريب عادل ابراهيم يعقوب .

٥٧- الرواية والمكان ، ياسين النصير .

٥٨- التخطيط المعاصر للمدن ، د . باسم رؤوف .

٥٩- هذا هو الفارابي ، مدني صالح .

٦٠- اعلام في النحو العربي ، د . مهدي المخزومي .

٦١- حضارة الرقم الطينية وسياسة التربيـة والتعليم في العراق القديم ، ترجمة : يوسف عبدالمسيح ثروة .

٦٢- نظرات جديـدة في مستقبل العمل الاذاعي - سعد البزاز .

٦٣- في صحة المجتمع . د . عبدالحسين بيرم .

٦٤- الرياضيات عند العرب .د. نصيف الجنابي

٦٥- الابعاد القومية لثورة مايس١٩٤١ في العراق د. محمد مظفر الادهمي .

٦٦- جدلية أبي تمام د . عبدالكريم الياقي .

٦٧- المدخل لتاريخ العمارة العباسية وتطورها . شريف يوسف

٦٨- الطب البيطري عند العرب . د . طه حامد الشبيب .

٧٠- العلاج النفسي ، انواعه ، اساليبه ، مدارسه . د . فخري الدباغ .

٧١- ملامح من الشعر القصصي في الادب العربي د . نوري حمودي القيسي .

٧٢- تاريخية المعرفة منذ الاغريق حتى ابن رشد .

٧٣- التزامن بين الحروب الصليبية والف ليلة وليلة عبدالغني الملاح .

٧٤- الدماغ البشري د . طارق ابراهيم حمدي .

٧٥- آراء في الكتابه والعمل الصحفي . وائل العاني .

٧٦- تيارات حديثة في الادب الالماني . د . مصطفى عبدالحميد

٧٧- هنا بدأ التاريخ . تاليف . س . ن كريمر ، ترجمة : ناجية مراني .

٧٨- ظهور الرواية الانجليزية . ترجمة د . يونيل يوسف عزيز .

٧٩- اضواء على حركة الشباب في القطر العراقي ، شامل عبدالقادر .

٨٠- المعجم العربي د . حسين نصار .

٨١- بين القادسية الاولى وقادسية صدام حسين . مهدي حسين البصري .

٨٢- ادارة الانتاجية . تاليف : جي. اي. فارادي ، ترجمة : ابراهيم عبدالله جرجيس . سلمان يعقوب العبيدي .

٨٣- الانسان في ادب وادي الرافدين . د. يوسف حبي .

٨٤- الثورة والسياسة الدولية . جمال عبدالرزاق البدري .

٨٥- تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي . د. عبدالجبار ناجي .

٨٦- اثر البيئة في الحكاية الشعبية العراقية . د. عمر الطالب .

٨٧- شعر الحرب عند العرب . د . نوري القيسي .

٨٨- مقدمة في علم الاثار . د. تقي الدباغ .

٨٩- الطقس والمناخ . د. صباح محمود احمد .

٩٠- مدخل الى الشعر الاسود الامريكي . احمد مرسي .

المحتـــويات

رقم الايداع في المكتبة الوطنية بغــداد
(٤٧٣) لسنة ١٩٨١

المؤلف في سطور

د . كمال السامرائي

1 - ولد في أيلول عام 1914 .

2 - الدراسة الابتدائية في سامراء والثانوية في الحلة وبغداد .

3 - درس الطب في كلية الطب في بغداد وتخرج منها سنة 1938 .

4 - حصل على درجة الماجستير في الجراحة النسائية سنة 1943 .

5 - عُين رئيساً لقسم الامراض النسائية والتوليد في كلية طب بغداد سنة 1950 .

6 - منح لقب استاذ في كلية الطب سنة 1952 .

7 - منح شهادة العضوية (M. R. C. O.g) في كلية الجراحين النسائيين والمولدين البريطانية سنة 1964 .

8 - انتخب زميلاً في كلية الجراحين النسائيين البريطانيين سنة 1965 .

9 - منح لقب استاذ متمرس في جامعة بغداد 1975 .

10 - احيل على التقاعد بطلب منة سنة 1975 .

11 - له بحوث علمية في انسهام الحبل وسرطانات المشيمة ، واورام الحوض ، والنواسير ، والتشوهات الخلقية في الاعضاء الانثوية . وله أيضاً تطوير لبعض العمليات النسائية .

Little Encyclopedia
A Fortnightly Cultural
Series dealing with various
branches of Science, Art,
and Literature

Issued by Dar — Al-Jahidh
Al-Khulafä Street — Baghdad

Editor-in-Chief
Musa Kraidi

الموسوعة الصغيرة
سلسلة ثقافية نصف شهرية تتناول
مختلف العلوم والفنون والاداب
تصدرها دار الجاحظ للنشر

رئيس التحرير : موسى كريدي

الكتاب القادم :

ألف ليلة وليلة في الغرب

تأليف د. محسن جاسم الموسوي

السعر ٥٠ فلسا   دار الحرية للطباعة - بغداد